

بسم الله الرَّحْمَان الرَّحِيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سادات الكائنات في عوالم الملك والملكوت واللاهوت رسول الله محمد وآله الأخيار المنتجبين والأنوار المطهرين، واللعنة السرمدية والأبدية على أعدائهم ومبغضهم والمشككين في مقاماتهم ومنازلهم التي وضعهم الله تعالى فيها من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

وردنا سؤال من أحد السادة الأفاضل وهو ممن نحبهم ونحترمهم ونقدرهم ونجلهم.. يطلب منا الإجابة على بعض الأسئلة ويهمه معرفة رأينا حول تلك الموضوعات الفلسفية والعقائدية الآتية:

- ١ - ما رأيكم بالفيلسوف الشيعي صدر الدين الشيرازي..؟ .
- ٢ - ما وجه الفرق بين المفهوم التشكيكي والوحدة الشخصية..؟
- ٣ - هل يوجد في الأخبار مصطلح الإنسان الكامل..؟
- ٤ - ما هو الفرق بين الإنسان الكامل وبين العبودية..؟
- ٥ - سؤاله حفظه الله تعالى عن معنى الحديث الوارد عن الإمام الأعظم سيّد الموحدين وإمام المتقين أمير المؤمنين عليّ صلّى الله عليه وآله يشير فيه إلى نفسه الشريفة بقوله عليه السلام (أنا الأول وأنا الآخر)..؟

بسم الله جلّت عظمته

السلام عليكم أخي الفاضل السيّد يوسف مكّي العاملي دامت بركاته

ثبتنا الله تعالى وإياكم على التمسك بالحجج الطاهرين عليهم السلام والتبري من أعدائهم لعنهم الله إلى قيام الدين.. ونتمنى لكم من الله تبارك اسمه الحفظ والسلامة وطول العمر في طاعة الله تعالى وخدمة الحجج الطاهرين (صلوات ربي عليهم أجمعين)، وأن يجعلكم في مصافّ عباده المتقين، ومن تنالون الخطوة المهدوية المطهرة في الدارين، ويقر الله تعالى بك العينين، ويدلف عليكم من سواغ رحمته الفضل الكثير.. إنه سميع مجيب وبالمؤمنين رؤوف رحيم.

الجواب: ما دام يهتمكم نظرنا حول ملا صدرا وحول الفرق بين التشكيك والوحدة الشخصية، والفرق بين الإنسان الكامل وبين العبودية.. فهناكم جوابي لجنا بكم الكريم ناصعاً وناصحاً، نبتغي به رضا آل البيت عليهم السلام وزيادتهم في المعرفة العقائدية وتمييز الصحيح منها والأخذ به دون الفاسد الكاسد..

أقول وبالله تعالى ونبيّه والحجج المطهرين عليهم السلام أستعين:

السؤال الأول: ما رأيكم بالفيلسوف الشيعي صدر الدين الشيرازي..؟

الجواب: إن الفيلسوف الشيعي صدر الدين محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي صاحب مدرسة فلسفية عرفانية كما يقولون (وُلِدَ عام ٩٨٠ هـ وتوفي عام ١٠٥٠ هـ في البصرة ودفن فيها حال توجهه إلى الحج، ومن المعلوم عنه أنه حجَّ سبع مرات، وتعددت الأقوال في مكان قبره حتى بلغت الخمسة: أنه دفن في البصرة، أو كاشان أو إصفهان أو قرية كهك القميّة، أو في الإيوان المجاور لضريح أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وكلها أقوال شعبية خالية من البرهان، عدا الدفن في البصرة فُتُبقي عليه بأصل الإستصحاب التكويني الدال على اليقين السابق والشك اللاحق، فنحن متيقنون بأنه مات في البصرة ونشك هل أخرجوه منها أم لا ؟ فنجري إستصحاب اليقين السابق عند الشك في اللاحق .

وصدر الدين الشيرازي هذا، قد إشتُهرَ بلقب ملا صدرا وصدر المتألهين، وهو من أكابر الفلاسفة في الحاضرة الإسلامية، وقد سبقه في هذا الفن الخواجا نصير الدين الطوسي رحمه الله إلا أن الخواجا كان أبرع من ملا صدرا في علم الكلام وصناعة الاستدلال وسلامة المنهج والبرهان، وكتابه تجريد الإعتقاد حجة على الفلاسفة وعلماء الكلام والجميع نخل من معينه وارتوى من سبيله، وكان يغلب عليه الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام، وقد شيعَ ملك المغول عندما دخل إلى العراق وهذه منقبة لم يسبقه فيها أحد من العلماء الكبار، فلا يقاس نصير الدين الطوسي رحمه الله بملا صدرا، فالأول كان همه التشيع بينما الثاني كان همه الفلسفة والتصوف.. والبحث حول شخصية الخواجا نصير الدين الطوسي أعلى الله مقامه يطول، وله وقت آخر..

وُلِدَ الشيرازي في مدينة شيراز، وشرع منذ حداثته بتحصيل مبادئ العلم عند أبيه، وبعد وفاة والده عزم على الرحيل إلى أصفهان حيث كانت آنذاك عاصمة الحكم الصفوي ومركزاً علمياً زاهراً، فعكف على تحصيل العلوم العقلية والنقلية هناك، وتلمذ الشيخ صدر الدين وأكمل دراسته في ميدان الفلسفة والمنطق "العلوم العقلية" على يد فيلسوف عصره السيّد محمد باقر بن محمد الحسيني الاسترآبادي المعروف بـ "مير داماد" المتوفى سنة ١٠٤٠ هـجرية - كان من المقربين إلى الحكام الصفويين، - كما تتلمذ ملا صدرا في ميدان الفقه والحديث "العلوم النقلية" على يد الشيخ العلامة الفدّاء الدين العاملي رحمه الله تعالى المتوفى سنة ١٠٣١ هـجرية، وقد كان الشيخ البهائي أحد نوابغ عصره والمشهور بإختراعاته العلمية وإطلاعه على الأسرار الفيزيائية.

وقد قضى ملا صدرا عمره في تتبع أقوال الفلاسفة وأقوال الفرقة الصوفية معرضاً عن شرح الأخبار خلال فترة تتبعه لأقوال فلاسفة اليونان والإغريق والملاحدة والمشككين، ومن شدة اهتمامه بالفلسفة والإشراق أحبَّ الخلوة واعتزل الناس في قم وسكن على رأس جبل في قرية كهك لمدة خمسة عشر عاماً، وكهك هي من توابع مدينة قم قريبة من مسجد جمكران، وقد زرنا أيام إقامتنا في قم ذاك الجبل الشاق في الصعود إليه..وبعدها نزل ملا صدرا من الجبل بعد

أن مضى من عمره شطراً مديداً ثم ندم وتاب من تضييع عمره في تتبع آراء الفلاسفة، وانصرف إلى شرح أصول الكافي شرحاً وافياً وهو من الشروح القيّمة التي تعتمد على تحليل المفردات اللفظية ودلالة الأحاديث النبوية والولوية.. ثم انكب على شرح القرآن، فشرح منه عدة سور وأدرسته المنية في مدينة البصرة ولم يكمله.

مراحل حياة الشيخ العلامة ملا صدرا :

وعلى ضوء ما تقدم:أضحت حياة العلامة ملا صدرا العلمية مصنفة إلى ثلاث مراحل محددة:

١ - مرحلة الدراسة والتحصيل، وقد كان متابعاً مخلصاً - خلال هذه المرحلة - لطريقة التفكير العقلي، جاهداً في سبيل تتبع واستجلاء آراء وأفكار الفلاسفة، والمفكرين من المعاصرين والسالفين له.

٢ - مرحلة الرياضة الروحية والتربية الذاتية، حيث عكف في هذه المرحلة على العبادة والزهد بمتاع الدنيا في أفقٍ معيّن، واهتم بالكشف والشهود في أفق آخر.

٣ - مرحلة التأليف والتعليم والإعداد، حيث كانت هذه المرحلة بمثابة نتاج مرحلتيه السابقتين كما يقولون بل الظاهر من بعض كلماته أنه صنّف كتاب الأسفار خلال فترة إقامته على جبل كهك خمسة عشر عاماً، ومن البعيد أن تكون عزلته عن الناس من دون تصنيف وكتابة...!!

مصادر الإلهام في فكر ملا صدرا:

وعلى ضوء المستوحى من كلمات ملا صدرا، فقد انتهى به الأمر في أواخر المرحلة الأولى من حياته إلى أن سبيل الوصول إلى حقائق العلم وخصوصاً - في الفلسفة الإلهية - لا ينبغي حصره بنهج المشائين الذي يتسم بطابع محدد جاف، بل كما ينتج الإدراك الإنساني - الذي يغطي الأفكار الفلسفية العامة ويشكّل منطلقاً لها - فكراً ورؤى عن طريق القياس المنطقي، ينتج كذلك نماذج أخرى عن طريق الكشف والشهود والوحي.

وكما نضع اليد من بين الأفكار القياسية على أمور لا يتطرق الشك لصدقها وواقعيتها، نلمس هذه الخصوصية أيضاً في مجال الكشف والشهود بحسب تعبيره عن ذلك.

وبعبارة أخرى: بعد أن اتضحت على أساس البرهان العلمي واقعية الرؤية الإنسانية، وثبت بالدليل أن الإدراك البشري اليقيني يحكي ويتطابق مع الواقع الخارجي، فلا يبقى هناك فرق بين البرهان اليقيني، والكشف القطعي، وتضحى الحقائق التي يحصل عليها الإنسان عن طريق المشاهدة القلبية والكشف القطعي بحسب تسمية ملا صدرا، والحقائق التي يرقى الإنسان لإدراكها عن طريق التفكير القياسي سيّان.

كذلك بعد أن دعم بالبرهان القطعي صحة واقعية الوحي، لا يبقى هناك فرق بين مفردات الفكر الديني التي تتناول المبدأ والمعاد وبين مدلولات البرهان والكشف.

في ضوء هذه الرؤية والنقطة أقام صدر الدين الشيرازي وجهة بحوثه العلمية والفلسفية على أساس التوفيق بين العقل والكشف والشرع، واستلهم مقدمات البرهان، ومفاهيم الكشف، ومفردات الدين القطعية في سبيل الوصول إلى حقائق الإلهيات. ورغم أن جذور هذه الرؤية كانت واضحة في طيات ما كتبه أبو نصر الفارابي، وابن سينا، وشيخ الإشراق كما يقولون عنه، والحاجة العلامة الكبير نصير الدين الطوسي ناصر الملة والدين رضي الله عنه، إلا أن التوفيق حالف الشيخ صدر الدين الشيرازي لتجسيد هذه الرؤية في صورتها المتكاملة .

وملا صدرا هو المؤسس لنظرية الحركة الجوهرية الدالة على حيوية كل شيء وتمدده في الزمان والمكان كما أشار إليه في أسفاره ج ٣، ص ٧١ "أن كل ما في عالم المادة متغير في ذاته، لأن وجوده سيال متدرج، وليس له قرار في حد واحد". يعني بذلك أن الجوهر متحرك سيال وليس جامداً كما سوف نوضحه لكم.

وبعبارة أخرى في معنى الحركة الجوهرية: إن الحركة الجوهرية تعني (الحركة في الجوهر) لأن الجوهر متحرك - تماماً كالعرض متحرك وقابل للتغير كالشدة والضعف - وليس ساكناً كما ذهب إليه الفلاسفة القدماء قبل ملا صدرا، فنظرية الحركة في الجوهر هي من أهم ابتكارات صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا)، ومن أعظم ما تميز به عن سائر فلاسفة الإسلام، بل هي حجر الأساس في فلسفته الوجودية، ويبدو أنه سبق فلاسفة الإغريق..

تعريف الجوهر: معنى الجوهر على ما قيل في تعريفه هو "الموجود الذي لا يتكئ على الموضوع" أي إن الجوهر قائم بنفسه وليس بحاجة إلى موضوع يقومه ليستقر فيه، بعكس العرض وهو الموجود في الموضوع والمتعلق بالجوهر.. مثال على ذلك للتوضيح والتبسيط:

إن الأرواح تقوم بأنفسها قبل تعلّقها بالأبدان لأنها جواهر لا أعراض وقد كانت الأرواح جواهر بسيطة قبل نزولها إلى عالم الأبدان ولكن حينما يكتمل الجنين في بطن أمه، تنزل من العالم العلوي إلى البدن الخاص بها عند اكتمال أربعة شهور، وقبل نزولها إلى البدن كانت قائمة بذاتها وليست بحاجة إلى البدن العنصري الكثيف.. نعم كانت في الأبدان المثالية في عالم الأرواح، ولكن بعد هبوطها من عالم الأرواح تعلق بالأبدان العنصرية الكثيفة، فاحتياجهما إلى البدن بعد تعلقها به لأنها خلقت لتكون في البدن وليس لكي تكون مستقلة في عالم الأرواح فقط.. فتعلقها بالبدن بعد نزولها إلى الجنين إن أربعة شهور للوصول إلى الغايات التي لا يمكن البلوغ إليها، ألا بتوسط الآلات البدنية.. وعالم الأرواح متقدم على عالم الأبدان بملايين السنين ولا يسعنا المجال للتفصيل فيه لكم في هذه العجالة بل له وقت آخر.. ولا بأس ههنا أن نبين لكم حقيقتها على نحو مختصر ثم نفصل القول فيها بحسب مبنى ملا صدرا الفلسفي وغيره من الفلاسفة:

أولاً: معنى الحركة الجوهرية إجمالاً: يعتقد ملا صدرا أن الوجود كله في حركة مستمرة، وليست الحركة في الأعراض فقط (كاللون، والمكان، والكم، والزمان)، بل الجوهر نفسه متحرك من حال إلى حال، فالكائنات ليست ثابتة في جواهرها، بل وجودها ذاته سيال متجدد آنًا بعد آن، فهي في صيرورة دائمة من النقص إلى الكمال، ومن القوة إلى الفعل. ثانياً: الفرق بين رأي صدر الدين الشيرازي ومن سبقه من الفلاسفة كابن سينا والفارابي، كانوا يرون أن: الحركة لا تقع إلا في الأعراض (كالمكان والكم والكيف)، وأما الجوهر فهو ثابت لا يتحرك بذاته، بل تتبدل أعراضه فقط، بينما ملا صدرا قد خالفهم بالقول: إن الحركة ليست محصورة في الأعراض، بل الجوهر نفسه متحول الوجود، فكل موجود مادي متجدد الذات في كل آن، وليس له بقاء إلا بتجدده المستمر.

ثالثاً: الأساس الفلسفي لنظريته: لقد أسس ملا صدرا هذا القول على مبناه المعروف وهو أصالة الوجود واعتبارية الماهية، فقال: الوجود هو الأصل، والماهية اعتبار ذهني، والوجود في الخارج سيال متدرج، أي ذو مراتب متصلة من الشدة والضعف، لا جمود فيها، فبما أن الوجود هو الأصل، وهو في ذاته متدرج ومتصرف، فكل موجود مادي هو في حقيقة الأمر جريان وجودي؛ وقد تبعه على ذلك أكثر الفلاسفة الشيعة الذين جاؤوا من بعده.

ومن هذا المنطلق: يصح القول بأن كل آن من آتات الشيء هو وجود جديد مغاير لما قبله، إلا أن التغير متصل غير منفصل، فيتحقق ما نسميه بالحركة الجوهرية.

رابعاً: نتائج الحركة الجوهرية: لقد نتج عن هذا الأصل الذي أسسه ملا صدرا مجموعة من القضايا الفلسفية الدقيقة، منها:

١. تفسير الزمان: الزمان عند ملا صدرا ليس شيئاً خارجياً يضاف إلى الموجودات، بل هو بُعد الحركة الجوهرية نفسها، أي "الزمان هو مقدار تحدد الوجود".

٢. تفسير النفس: النفس الإنسانية تتحرك جوهرياً من النشأة المادية إلى النشأة المجردة، فهي تبدأ "جسمانية الحدوث" وتنتهي "بروحانية البقاء"، كما أشار ملا صدرا إلى ذلك في الأسفار (ج ٨، ص ١٤) أي تنشأ من المادة وتتجرد عنها بالتكامل الوجودي.

٣. فهم الكون كمجموع كلي: العالم المادي عنده ليس ساكناً، بل في مسيرة تكاملية نحو مراتب أعلى من الوجود، أي أن الخلق مستمر والفيض الإلهي دائم.

خامساً: أدلته على الحركة الجوهرية: أقام ملا صدرا على نظريته براهين فلسفية متعددة، منها:

١. برهان التغير الكلي: بما أن الأعراض تتبدل على الدوام، ولو كان الجوهر ثابتاً لما جاز تبدل الأعراض فيه بهذه السلسلة، لأن العرض تابع للجوهر، فإذا تبدل العرض دائماً وجب أن يتبدل الجوهر تبعاً له.

٢ . برهان التدرّج الوجودي: الوجود بحسب أصالة الوجود ذو مراتب من الشدّة والضعف، وهذا التدرّج عين الحركة الجوهرية كما أشار إليه ملا صدرا في الأسفار (ج ٣، ص ٨٣) والمراد من أصالة الوجود هو: أنّ الوجود أصيل والماهية اعتباريّة، ويراد من تدرج الوجود هو: أنّ كلّ موجود مادي يمر بمراحل من الضعف إلى الشدّة.

٣ . برهان العلّية: كلّ ممكن محتاج إلى علّة في كل آنٍ من آنات وجوده، فوجوده ليس دفعة واحدة بل متجدّد بتجدد الفيض، وهذا يعني أن جوهره نفسه متحرّك في ذاته.

سادساً: موقع النظرية في الفلسفة الإسلامية: لاقت نظريته معارضة شديدة من المشائين والعديد من المتكلمين الذين رأوا فيها خروجاً على قواعد المنطق الأرسطي، لكنّ الصوفيين الذين سموا أنفسهم بالعرفاء ومعهم الفلاسفة المتأخرين (كالفيض الكاشاني، والسبزواري والطهراني، وأمثالهم من المعاصرين الجدد) تبوّها وعدّوها فتحاً فلسفياً عظيماً، لأنّها وحدت بين الفلسفة والعرفان وأعطت تفسيراً عميقاً للوجود والخلق.

خلاصة القول: إن الحركة الجوهرية عند صدر الدين الشيرازي تعني أن الوجود المادي ليس ساكناً في جوهره بل متجدّد في ذاته، فالعالم كله "جريان وجودي" متصل لا ينفك، والزمان صورة هذا الجريان، والإنسان يسير ضمنه من عالم المادة إلى عالم التجرد والكمال... ونظريته ليست ابتكاراً جديداً بل هي مستقاة من بعض الأحاديث الدالة على تطور وتكامل الروح الإنسانية من خلال سيرها وسلوكها نحو الملكوت المتمثل بالنبي وآله الأطهار عليهم السلام والعروج في ولايتهم القدسية وأن كلّ شيء يسبح الله وينزهه قال الله تعالى كاشفاً لنا عن هذه الحقيقة بقوله عزّ وجلّ في سورة الإسراء ٤٤ {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيماً عَقُوراً} ولا دخل للفلسفة والعرفان العميق بحسب دعوى الفرقة الصوفية الشيعية، فما سنّه لنا كتاب الله والنبي وآله الأطهار (صلوات ربي عليهم) يغنينا عن العرفاء الصوفيين والفلاسفة المتفلتين من القيود الدينية والأحكام الشرعية.. فتأمل.

زبدة المخض في أحوال العلامة صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا) هو الآتي: لملا صدرا نظريتان شغلنا الحاضرة الشيعية والعالمية هما: "الحركة الجوهرية ووحدة الوجود" وقد أشرنا بشكل تفصيلي نوعاً ما إلى الحركة الجوهرية أعلاه، وأمّا نظرية وحدة الوجود والموجود فقد أشرنا إليها بشكل إجمالي في مضامين بحثنا هذا ولكن نزيد عليه بالآتي:

ما هي نظرية وحدة الوجود ؟ لقد اختلفوا في ماهية وحدة الوجود اختلافاً كبيراً، فمنهم حملها على المعنى الصوفي الباطل، ومنهم قائل بعكس ذلك، وهو الصحيح كما يبدو من نفس كلمات ملا صدرا كما سوف يأتيكم لاحقاً، لذا أجاب بعض الباحثين على تحديد مفهوم وحدة الوجود بما يلي: فتح ملا صدرا فلسفته بمسألة " أصالة الوجود "

وعطف عليها مفهوم "تشكيك الوجود"، ثم أخذ يستلهم هاتين النظريتين ليبرهن من خلالهما عند كل مسألة من مسائل الفلسفة، وينهض بأساسها على أساس هاتين النظريتين.

يوضح في النظرية الأولى أنه رغم أننا نقف في الطرف المقابل للسفسطائيين والارتيائيين، ونؤمن بوجود واقع موضوعي ثابت للماهيات، ونرى أن كل واحد من الأنواع الخارجية له ماهية نوعية ووجود، إلا أنه بحكم كون حقيقة كل شيء في الخارج لا تتعدى كونه أمراً واحداً، من هنا كان المتأصل في الواقع الخارجي واحداً من أمرين "الوجود" و"الماهية"، ويكون الآخر ثابتاً ثبوتاً عرضياً.

وبحكم أن العقل يفترض تمايزاً بين ماهية ووجود الأشياء، وبما أن الماهية - في نفسها - محايدة بالنسبة للوجود والعدم، وأن الوجود هو عين التحقق والثبوت، فلا بد إذن من النظر إلى الوجود باعتباره عين الواقع وهو الأصل، والنظر إلى الماهية باعتبارها ظاهرة ذهنية، وظهوراً تصورياً للوجود، وفي الواقع تمثل الماهيات حدوداً عقلية ومفاهيم ينتزعها الذهن ويتصورها جراء إدراكه لمحدودية الوجود، مثلاً الإنسان كواقع خارجي، ووجود عيني، وظاهرة وجودية تقابل العدم، يضع العقل لمفهوم الإنسان "الحيوان الناطق" كماهية نوعية وحدّ له، حيث إن العقل يجد أن واقع كل شيء ليس عيناً لواقع سائر الأشياء ولا يتوفر على حقيقتها وواقعها.

يوضح في المسألة الثانية "التشكيك في الوجود" التي تعود لدى التحليل إلى مسألتين، أن وجود الأشياء الذي ترجع الأصالة إليه، وتحقيق الماهية تبعاً له، يمثل حقيقة وسنخية واحدة. وبحكم كون الأصالة والواقعية نصيباً للوجود فأى شيء آخر نفترضه سيكون فارغاً من المضمون ومحكوماً بالبطلان، وتلك الاختلافات التي تقع في الموجودات الخارجية، نظير الاختلاف في العلية والمعلولية، والتفاوت من زاوية الوحدة والكثرة، والقوة والفعل، والتقدم والتأخر - إلخ، اختلافات مشهودة وأمور واقعية حقيقية، كل مفردات هذا التفاوت والاختلاف تعود إلى الوجود وتقع في لبه، وفي المحصلة يكون الوجود حقيقة واحدة، ينطوي على اختلاف وتفاوت في لبه وواقعه، دون ضم عنصر إضافي له يعني: أن تلك الحقيقة التي يشترك وينظر موجود موجوداً آخر في وجوده من خلالها، تنطوي بعينها على اختلاف وتمايز يقع بين تلك الموجودات.

يمثل صدر المتألهين لهذه الحقيقة بالنور المادي حيث يبدو وضوح الضوء عبره مراتب متعددة من حيث القوة والضعف، وبظهوره تظهر الأجسام وتبدو للحس. والتفاوت الحاصل في الأنوار المختلفة، والذي يبدو للحس درجات من الشدة والضعف، ولم يحصل جراء كون النور الضعيف مؤلفاً من الضوء والظلمة، وذلك لأن الظلام أمر عديم ولا يتمتع بشيء من الوجود، فلا يصير جزء من النور الضعيف، كما أنه - أي التفاوت - لم يحصل جراء كون ضعف النور يفضي إلى تلم مفهوم النور، إذ ستفتقد عندئذ حقيقة النور، ولم يأت هذا التفاوت لأن قوة النور في النور

الشديد أضافت شيئاً آخر لحقيقة النور فجاءت القوة نتيجة هذه الإضافة ! بل إن النور الضعيف في الحقيقة نور ضعيف بنفس معنى النورية الذي ينطوي عليه، فهو ضعيف ونور في حد ومرتبة خاصة والنور القوي تعود قوته لعين نوريته، وهو نور في مرتبة خاصة. وفي المحصلة هناك مرتبتان موسومتان من النور، يشتركان في عين مفهوم النور، ويختلفان في نفس المفهوم بعينه.

وكما أن حقيقة الوجود ذات مراتب مختلفة من حيث الشدة والضعف فلها مراتب كذلك من حيث الكمال والنقص، أعلى مراتب الوجود هي مرتبة الوجود الواجب حيث الكمال المحض والفعلية المحضة، وليس هناك في هذه المرتبة أي لون من ألوان النقص والتحديد، وأسفل مراتب الوجود مرتبة المادة الأولى التي هي بالقوة من كل جهة، ويعتورها النقص من كل جهة أيضاً، وتنحصر فعليتها في كونها بالقوة فعلاً. وبين هاتين المرتبتين اللتين تقع كل منهما عند أحد رأسي سلسلة الموجودات، هناك مراتب - من وجهة نظر عقلية - تتألف من الكمال والنقص والقوة والفعلية، وكلما صعدنا نحو أعلى السلسلة كان خط الكمال والفعلية أوفر، وكلما هبطنا أسفل السلسلة تزايد النقص والقوة. ويدعى المفهوم المتحصل اصطلاحاً بـ « الوحدة التشكيكية للحقيقة ».

لقد استبدل ثبوت هذه النظريات الثلاث - بشكل كامل - « الاصاله ، الوحدة ، والتشكيك في حقيقة الوجود » التصور السائد لعالم الوجود وكل ما ينطوي عليه . فقد ألغي من أفق الفيلسوف ما كان يحسب على أساس التصور الساذج ، من أن عالم الوجود عبارة عن سلسلة ماهيات ليس بينها أي لون من ألوان الارتباط الذاتي وهي أجنبية بعضها عن البعض الآخر، وكل منها منفصل ولا علاقة له بالآخر، وحل محله التصور الذي تبدو خلاله الحقيقة النورية للوجود، حيث ينبسط بصفة الوحدة وخصوصية الإطلاق ضمن درجات ومراتب مختلفة، وترتبط ظواهره أكمل أشكال الارتباط في عين كونها مختلفة، فتبدو هذه الظواهر مرتبطة ومختلفة بعضها مع البعض الآخر.

يضحي عالم الوجود - وفق التصور الجديد - نظير محيط من النور اللامتناهي، وقد حل مشعل هذا النور في قلب هذا المحيط بفعل قوته اللامتناهية وغير المتحيزة بمكان وغير المحددة بزمان، ويضيء هذا المشعل بلمعاته وأشعته باستمرار . وتبدو لمعات هذا المشعل بدرجات مختلفة وأحكام وآثار متفاوتة على أساس القرب والبعد منه.

ومن هنا يفهم جيداً أن الفلسفة التي يتناول بحثها على أساس هذا الطراز من التصور العام لعالم الوجود ستختلف بشكل كامل في طريقة بحثها مع الفلسفة التي تفترض العالم مؤلفاً من سلسلة ماهيات منفصلة دون ارتباط بينها، وتتناول كل ظاهرة بشكل تجزيئي. ومضافاً للاختلاف في أسلوب البحث وطريقته فسوف تبرز جملة مسائل أساسية وعميقة، لا يمكن العثور على سبيل لتصورها والاستدلال عليها وفق المنهج التجزيئي على الإطلاق. إنتهى ملخصاً كلامه.

أقول: لا داعي لهذا البسط والمد في شرح نظرية ملا صدرا لأمر ليس من واقع التشريع ولا تهذب الروح بمعارف الحجج الطاهرين عليهم السلام، فكما أن ملا صدرا ضيَّع شطراً كبيراً من عمره في سبيل تشييد نظريته التي لا تسمن ولا تغني من جوع.. فكذا قام كل من جاء بعده يخللون ما أبهمه حيناً وأشار إليه بشيء من الوضوح حيناً آخر وكأن كلامه لغز محيّر وكأنه أيضاً سر من الأسرار الربوبية..! فلماذا أوقع ملا صدرا نفسه في التيه وأوقع الآخرين في الغي وأضلهم عن الطريق قصوراً أو تقصيراً..؟! شريعة آل البيت عليهم السلام واضحة ومعالم توحيد الله ناصعة فليست بحاجة إلى فلاسفة ولا متصوفة ولا عبقریات في الأقوال والسلوكيات...!! إن ملا صدرا هو نفسه من جعل الآخرين يقدحون فيه ويرمونهم بالكفر والزندقة، مع أن الواجب يدعوهم إلى التريث بالحكم على الرجل لأن كلامه فيه متشابه ومحكم فلا يجوز التسرع بالحكم عليه.. لذا نحب أن نذكر بما قاله العلامة الكبير السيّد محسن الأمين العاملي عن العلامة ملا صدرا في كتابه أعيان الشيعة ج ٩ ص ٣٢٦ قال تحت عنوان: "وحدة الوجود": (كثر التشنيع على هذا الرجل بعد وفاته عند رجال الدين حتى كان اسمه ومؤلفاته مثار السخط والاشتمزاز، ويكفي أن نعرف أن الشيخ أحمد الأحسائي المتوفى سنة ١٢٤٣ للهجرة كفره الناس لميله إلى بعض آراء المترجم. ومن المفارقات العجيبة في تلك العصور أن الأحسائي نفسه كان يقول بكفر صاحبنا ويشنع عليه، وبلية الأحسائي كلها أنه قرأ كتبه من دون حضور على أستاذ فلم يفهمها كما يجب، وكان ذكياً معتداً بنفسه، فأصيب بداء الغرور فاشتط من جهته في تأثره بها عقيدة، واشتط من جهة أخرى في بحث آرائه ناقداً، وفي كلتا الجهتين كان متورطاً، بل صاحبنا قد لاقى من العنت في زمانه ما دفعه إلى إعلان تدمره من أهله والسخط عليهم في عدة تصريحات نائرة عنيفة في أكثر كتبه، لا سيّما في مقدماتها، بل ألجأه ذلك إلى أن يهرب بنفسه فينزوي في بعض النواحي البعيدة، على ما سبق ومن أمضٍ التشنيعات عليه في نظري أن يقال: في صدد الثناء على ولده ميرزا إبراهيم: "وهو في الحقيقة مصداق يخرج الحي من الميت" وعلل ذلك بأنه "كان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة" بينما أن الوالد هذا لا يرى في غير الحكمة والعرفان حياة للنفس الانسانية، بل من يتجرد عن ذلك يقسو عليهم فيعبر عنهم بأهل الجلود الميتة، ومن اللازم أن نشير إلى جملة من المؤاخذات البارزة التي سجلت عليه من قبل المترجمين له:

وعلى كلّ حال فقد اقترنت مقالة وحدة الوجود بإطار من صفة المروق من الدين والكفر والزندقة، مع أن لها

كما سيأتي عدة معان ربما لا يكون لأحدها تلك اللوازم الباطلة ولا غيرها....". وقال العلامة الأمين في موضع

آخر من كتابه أعيان الشيعة ج ٢ ص رداً على كلام لصاحب كتاب الرياض الذي انتقص من ملا صدر بأن الميرزا إبراهيم ابن ملا صدرا هو مصداق لقول الله تعالى (يخرج الحي من الميت): "أقول قوله مصداق يخرج الحي من الميت

يشير إلى ما نسب إلى ملا صدرا من بعض الكلمات المنافية لظاهر الشريعة كما يجيء إن شاء الله في ترجمته، ويمكن أن يكون لها محمل صحيح، والقدر لا يجوز بغير الأمر الصريح . إنتهى كلام الأمين ملخصاً.

والخلاصة: ثمة عدة مؤاخذات على ملا صدرا ردها كلٌّ من اعترض عليه، هي التالي:

- ١ . القول بوحدة الوجود
- ٢ . إطراره على ابن العربي
- ٣ . ميله إلى الصوفية
- ٤ . تحججه على العلماء غير الحكماء وأمره للمؤمنين بمطالعة الحكمة وادعاء البعض بأنه أمر بهجر الروايات...!!.

نورد بإنصافٍ على هذه المؤاخذات بما يلي:

الإيراد على المؤاخذة الأولى وهي (القول بوحدة الوجود): هذه الشبهة أخذت حيزاً من الخلاف والجدل والإضطراب بين العلماء في فهم هذه النظرية التي لا تسمن ولا تغني من جوع..وما نفهمه من هذه النظرية هو أن الوجود مترابط الأجزاء ومخلوق من العدم والخالق هو الله تعالى العلة الفاعلية في عملية الخلق وأجزاء الكون المتعددة - والتي يعبر عنها بالكثرة - مرتبطة بتلك العلة لا يمكن انفكاكها عنه لأنه هو المفيض عليها صورة الوجود، فتلك الكثرة مرتبطة بتلك الوحدة، والإرتباط المذكور لا يستلزم المجانسة والإتحاد والممازجة، فإن كل ذلك مستحيل عقلاً ولا يقصده ملا صدرا قطعاً..كيف لا وهو المتكلم البارع والمتبري من الصوفية المنحرفة كما أفاد في بعض كتبه وهو ما أشرنا إليه سابقاً، ومنهجه في وحدة الوجود يختلف بمباهيته عن منهج الصوفية، فلا داعي لتكفيره والحكم عليه بالضلال، فيجب علينا ما دمننا مؤمنين أن نحمل أخانا في الإيمان على الأحسن لا سيّما وأن الشقة بيننا وبينه بعيدة بحدود أربعمئة سنة تقريباً فكيف يمكن الجزم بضلاله بسبب مفهوم شائك يُحمّل على عدة وجوه شائكة ومتشابهة يجب إرجاعها إلى المحكمات لحلّها وفك رموزها المبهمة..

والسؤال المهم الذي يجب عرضه وهو: ما السرّ في تكفير القائلين بوحدة الوجود ؟ والجواب: هو اتصاف الممكنات بصفات واجب الوجود ومساواة الأشقياء بالصلحاء كما سوف ترون في كلمات الإحسائي..وهذان الشرطان غير متوفرين بمؤسس الحركة الجوهريّة ملا صدرا فإنه ينفيهما بشكل واضح في بحوثه، فما ظنه الإحسائي بملا صدرا بحسب الظاهر لم يكن في محله..ذلك لأن ملا صدرا لم يعتقد بوحدة الواجب مع الموجود ولا بوحدة الوجود بالمفهوم المتنازع عليه بين الصوفيين كإبن العربي وأمثاله مع المشائين الشيعة تبعاً لأدلة العقل المستقيم والوحي النبوي والولوي..

رأي العلامة الراحل السيّد محسن الأمين رحمه الله بملا صدرا :

وهنا أحبُّ أن أنقل بعض كلام العلامة السيّد محسن الأمين العاملي رحمه الله حول مفهوم وحدة الوجود التي حار فيها الكثير وحاصوا وباصوا وتشنت أفكارهم وتكثرت أقوالهم في تفسيرها وتحديداتها ومعرفتها.. والسيّد الأمين كان منصفاً مع الملا صدرا في بعض المسائل التي اشتبه فيها ملا صدرا كإطرائه على ابن العربي بالرغم من أنه أنصفه في القول بوحدة الوجود بالشكل الذي فسرناه لكم أعلاه.. فقال رحمه الله في أعيان الشيعة ج ٩ ص ٣٢٦: [إن الرأي المعروف بوحدة الوجود على اجماله يعتبر من سمات المتصوفين التي تدفعهم إلى دعوى الشطحات والمواجدة وعلم المغيبات وما إليها، ويعد من أكبر الوصمات فيهم الملازمة لطعنهم بالكفر والزندقة. وهو يساق عند الناس مقالة الحلول والتناسخ. وهذه الكلمات وحدها مدعاة لإثارة الشعور بكرهية القائل بها، وللاستنكار لأقواله والتسرع بنسبته إلى الكفر، وأن لم تتحدد معانيها ومفاهيمها بالضبط، ولم تعرف العامة السر في التكفير بها.

ثم تابع السيّد الأمين فقال: قال الشيخ أحمد الأحسائي في شرحه للعرشية ناقداً المولى محسن الفيض في صفحة من شرح العرشية ١٢: "... فإذا لم يكن قوله هذا قولاً بوحدة الوجود إذن فما القول بوحدة الوجود؟ بل هذا قول بوحدة الوجود ووحدة الموجود، ومع هذا صرف كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن مراده إلى مراد الملحدين بأن جعل قوله: كل شيء قائم به أي قائم بذاته، والله يقول: ومن آياته أن تقوم السموات والأرض بأمره، والصادق (عليه السلام) في دعائه يقول: كل شيء سواك قام بأمرك، والمراد بالأمر أما الفعلي فكل شيء قام بفعله قيام صدور، ويصدق عليه أنه قائم بالله أي بفعله، وأما الأمر المفعولي أعني الحقيقة المحمدية التي من شعاعها خلق مادة كل شيء فكل شيء قائم بها قياماً ركنياً كما هو شأن المادة، والله سبحانه أقام الأشياء بموادها كما في الدعاء يمسك الأشياء **بأظلتها** أي بموادها وصورها، ويصدق عليه أن الأشياء قائمة به أي بفعله، وكذلك قوله (عليه السلام): غني كل فقير يعني يمدّه بما يجبر فقره ويتمّ نقصه ويقوي ضعفه بشيء يصل إلى الفقير المحتاج لم يكن وصل إليه قبل ذلك ولا يجوز أن يكون ذاك المدد جزءاً من الذات القديمة تبارك وتعالى ربي بل من شيء ممكن من نوع المحتاج، ولو كان من ذاته لتجزأ وتغيرت أحواله، فيا سبحانه الله كيف طبع على قلوبهم بأعمالهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا..."

تنبيه من العبد غريب الديار العاملي: لقد استدل الإحسائي بفقرة قصيرة من كلام الإمام الصادق عليه السلام "يمسك الأشياء بأظلتها" على نفي الوحدة الصوفية المزعومة في حين ثمة فقرة واضحة في كلامه عليه السلام تشير بوضوح إلى نفي قيام الأشياء بذات الله المقدسة وها هو الخبر عن حماد بن عمرو النصيبي، قال: سألت أبا عبد الله عن قل هو الله أحد فقال: (نسبة الله إلى خلقه أحداً صمداً أزلياً صمدياً لا ظل له يمسكه وهو يمسك الأشياء بأظلتها، عارف بالمجهول، معروف عند كل جاهل، فردانياً، لا خلقه فيه ولا هو في خلقه، غير محسوس ولا محسوس، لا تدركه الابصار، علا فقرب ودنا فبعد، وعصي فغفر وأطيع فشكر، لا تحويه أرضه ولا تقله سماواته، حامل الأشياء

بقدرته ديمومي أزي لا ينسى ولا يلهو ولا يغلط ولا يلعب ولا لإرادته فصل وفصله جزاء وأمره واقع ، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك ولم يكن له كفوا أحد) فقرة (لا خلقه فيه ولا هو في خلقه) واضحة في نفي وحدة الواجب مع الموجود... فلا داعي لتمغيط المطلب وتطويله مع وجود السهل الواضح.. هذا بالإضافة إلى أن المطلوب من القيام بذاته هو قيام تعلق لا قيام تجانس وممازجة، ونعني بقيام التعلق هو التعلق بالقدرة لا بعين الذات الإلهية، والقدرة لا تُرى بالعين بل ما يُرى هو آثار القدرة الإلهية.. فإن التعلق بعين الذات الإلهية مستحيل عقلاً.. فتأملوا.

عود على بدء: ثم قال الأمين: وموضع الشاهد نقله الاجماع على تكفير معتقد وحدة الوجود؛ وأما السر في التكفير بها، فقد قيل: أن لازم هذه المقالة أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام وقاتله ابن ملجم مثلاً مدوحين ناجبين، وكذا موسى وفرعون، والإمام الحسين عليه السلام ويزيد، وهكذا الخلق كلهم سعيدهم وشقيهم أمّا لا شقي أو لا سعيد . وقيل: أن لازمها أن يتصف الله تعالى بصفات الممكنات أو تتصف الممكنات بصفات الواجب، أو تكون هو إياها أو هي إياه، فتكون واجبة الوجود أو معبودة، فتصح العبادات لفرعون والأصنام والشمس والقمر وهكذا ... قال الشيخ احمد الأحسائي في شرح العرشية ص ١٧ مخاطباً للمولى محسن الفيض متهمكماً: قل أنا الله، ولا تخف فإنك بالتصريح تستريح وتريح.

وعلى كل حال فقد اقترنت مقالة وحدة الوجود بإطار من صفة المروق من الدين والكفر والزندقة، مع أن لها كما سيأتي عدة معانٍ ربما لا يكون لأحدها تلك اللوازم الباطلة ولا غيرها . ولكن لا صبر للرأي العام على التفكير في ذلك، والتفكيك بين المعاني وتوجيه كلام القائل بها . ولذلك كان يتحاشى المترجم له التعبير بعبارة وحدة الوجود تعبيراً صريحاً واضحاً، أمّا تلامذة مدرسته فقد بالغوا في تصويره القول بالوحدة على الوجه الذي لا يلزم منه تلك اللوازم الباطلة ولا غيرها وأنه ليس المراد من الوحدة الاتحاد الذي يفهم من ظاهر الكلمة وعندهم أن هذا المعنى لا يفهمه الا الأوحدي من الأذكياء والفضلاء، وإذا انطلى على العامة وأشبه العامة لفظ وحدة الوجود فذلك شأن من لا يفهم الاسرار الفلسفية، فيشنع على قائلها . وقال هو (ملا صدرا) في تفسير سورة البقرة ص ٢٧٨: أن أكثر الناس يتنازعون في مسألة لا يعرفون بعد موضوعها ولا محمولها، فقبل تحرير محل النزاع يخاصم بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً ويتندرون بقصة الشيخ محمد كاظم في الروضة الحسينية حينما كان في تعقيبه بعد صلاة الصبح يلعن بتسييحه كاملة الملا صدر، وكل واحد من جماعة آخرين بتسييحه كاملة منهم المولى محراب وهو الحكيم المولى محراب علي الأصفهاني من اعلام القرن الثاني عشر، وكان هذا الحكيم صدفة جالساً إلى جنبه يستمع إلى هذه التسييحات القدسية، وهو لا يعرفه وقيل: أنه جاء متخفياً فاراً إلى كربلاء من أصفهان بعد تكفيره فيها فقال للشيخ: لماذا تلعن هؤلاء أتعرفهم...؟ ، فقال: لأنهم يقولون بوحدة واجب الوجود فلم يفرق بين وحدة الوجود ووحدة واجب الوجود فقال له ببرودة دم

متهكماً: حق من مثلك أن يلعن من يقول بوحدة واجب الوجود حتى لا ينتشر مثل هذا الاعتقاد، وسواء صحت هذه القصة الطريفة أم لم تصح، فإنها ترمز عندهم إلى عدة أشياء: منها عدم تمييز العامة للواضحات واضطهادهم للحكماء بما لا يعرفون ومنها اللوم على الحكماء أن يصرحوا بما لا تتحمله عقول العامة، ويحق عليهم اللعن من هذه الجهة، ومنها أن القول بوحدة الوجود الذي يذهب اليه هؤلاء العرفاء راجع في الحقيقة إلى القول بوحدة واجب الوجود أي أن التوحيد الحقيقي الذي لا يشاب بالشرك لا يصح إلا إذا قلنا بوحدة الوجود، أي أن التوحيد الحقيقي الذي لا يشاب بالشرك لا يصح إلا إذا قلنا بوحدة الوجود، لأن التوحيد توحيد في العبادة وتوحيد في الخلق وتوحيد في الوجود . ويعبر عنه صدر المتألهين في كثير من الواقع بالتوحيد الخاص أو توحيد الأخصي . فإذا كان التوحيد كلفاً فعلى الاسلام السلام ! بل يقولون: إذا نفينا وحدة الوجود التي يفسرها صدر المتألهين يلزمنا القول بالشرك في الحقيقة، وهو دائماً يقول: انما الناس يعبدون أصناماً ينحتونها بأوهامهم، ويستشهد بكلام للإمام الباقر عليه السلام: "كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مصنوع مثلكم مردود إليكم" .

ولأجل أن نجلي غرض صدر المتألهين وتلاميذ مدرسته في هذا الباب، نقول: أن الأقوال في المسألة يمكن تصويرها في ثلاثة وجوه:

- ١ تعدد الوجود والموجود . وهذا هو الذي يتصوره عموم الناس.
- ٢ وحدة الوجود والموجود، وأن التعدد الذي يبدو للعامة في الوجود والموجود انما هو تعدد ظاهري مجازي وفي الحقيقة لا تعدد لكل منهما. وهذا هو المذهب المعروف المنسوب إلى المتصوفة، الذي قال عنه الأحسائي أن العلماء مجمعون على تكفير معتقده باعتبار أنه يفهم منه الحلول أو الاتحاد بين الخالق والمخلوق.
- ٣ وحدة الوجود وتعدد الموجود . وهو المنسوب إلى بعض المتألهين، كما حكا في الاسفار ١ : ١٦ ورد عليه من عدة وجوه، ولكنه نفسه في رسالة سريان الوجود يظهر منه الميل اليه، ومن هنا نستظهر أن هذه الرسالة ألفها في مرحلته الأولى من حياته العلمية . قال فيها ص ١٣٨ عن الممكنات: فهي موجودات متعددة متكررة في الخارج ولها كثرة حقيقية عينية، فالوجود واحد والموجود متعدد متكرر . هذه الاحتمالات الثلاثة المتصورة كل واحد منها به قائل، ولم يبق الا الاحتمال الرابع وهو تعدد الوجود ووحدة الموجود فليس به قائل لوضوح استحالته.

أمّا الذي استقر عليه رأي المترجم (أي ملا صدرا) في كتاب الأسفار وغيره، فلا يتفق مع تلك الأقوال الثلاثة كلها، بل إن لم يكن قولاً رابعاً فهو جمع بين الأقوال، يعني أنه يقول: إن الاحتمالات الأربعة كلها صحيحة ويجب القول بها جمعاً، فإن الذي يراه أن الوجود متعدد حقيقة، ولكنه في عين الحال الوجود واحد حقيقة، والموجود أيضاً واحد حقيقة، فإن شئت قلت بتعدد الوجود والموجود أو بوحدة الوجود والموجود أو بوحدة الوجود وتعدد الموجود أو بتعدد الوجود

ووحدة الموجود فكله صحيح ولكن بشرط الجمع بين هذه الأقوال كلها . وهذا من العجيب حقاً، ويبدو أنه متهافت متناقض، غير أنه يصبر عليه كل الاصرار ويقول أن فهمه يحتاج إلى فطرة ثانية.

ويرتفع التهافت الظاهر بأن يكون معنى الوجود متعدداً حقيقة أنها الحقيقة في قبال المجاز اللغوي، ومعنى أن الوجود واحد حقيقة أنها الحقيقة في قبال المجاز العرفاني . قال في المبدأ والمعاد ص ١١٤ : ليس اطلاق الوجود على ما سوى الله مجازاً لغوياً بل عرفانياً عند أهل الله . ولكن يجد أن العبارة قاصرة عن أداء هذا المقصد لغموضه ودقة مسلكه وبعد غوره، فيشتبه على الأذهان ويختلط عند العقول . ولذا طعنوا في كلام الأكابر بأنه مما يصادم العقل الصريح والبرهان الصحيح.

ونكتة الغموض في هذا المسلك وبعد غوره أنه يرى أن الوحدة في الوجود والموجود عين الكثرة، والكثرة فيهما عين الوحدة. وهذا هو معنى المجاز العرفاني في التعدد، لا أن هويات الممكنات أمور اعتبارية محضة وحقائقها أوهام وخيالات لا تحصل لها إلا بحسب الاعتبار، فان هذا ليس معنى المجاز الذي يراه.

ولما كانت الوحدة عين الكثرة ، فان الظاهريين لما نظروا إلى الوجود والموجود بعين واحدة وهي اليسرى واقتصروا عليها رأوا الكثرة والتعدد . والمتصوفون لما نظروا إليهما بعين ثانية وهي اليمنى واقتصروا عليها رأوا الوحدة ولم يروا سوى الله، أمّا الكامل الراسخ فهو ذو العينين السليميتين: ويعلم أن كل ممكن زوج تركيبي له وجهان، وجه إلى نفسه ووجه إلى ربه، فبالعين اليمنى ينظر إلى وجه الحق أي وجه ربه فيعلم أنه الفاض على كل شئ والظاهر في كل شئ فيعود إليه كل خير وكمال وفضيلة وجمال، وبالعين اليسرى ينظر إلى الخلق أي وجه نفسه ويعلم أنه ليس له حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا شأن إلا قابلية الشؤون والتجليات وفي ذواتها أعدام ونقائص، قائلاً لسان مقاله طبق لسان حاله:

رق الزجاج ورقّت الخمر * فتشابه وتساكل الامر

فكأنه خمر ولا قدح * وكأنه قدح ولا خمر

والسر في ذلك: أن الوجودات وأن تكثرت وتمايزت الا أنها من مراتب تعيينات الحق الأول وظهورات نوره وشؤوناته ذاته، لا أنها أمور مستقلة وذوات منفصلة باعتبار أنها معلولة للحق الأول والمعلول طور من أطوار العلّة وشأن من شؤونها، فالوجود الحقيقي ظاهر بذاته بجميع أنواع الظهور ومظهر لغيره، وبه تظهر الماهيات، وله ومعه، وفيه، ومنه . ولولا ظهوره في ذوات الأكوان واطهاره لنفسه بالذات ولها بالعرض لما كانت ظاهرة موجودة بوجه من الوجوه، بل كانت باقية في حجاب العدم وظلمة الاختفاء.

ويستشهد دائماً بكلمات أمير المؤمنين عليه السلام لأداء هذا الغرض كقوله: "هو مع كل شئ لا بمقارنة وفي كلمة أخرى لا بممازجة وغير كل شئ لا بمزايلة" وفي حكمة أخرى "لا بمباينة " لأن وجوده منبسط على جميع الكائنات،

وجميع الموجودات انما هي رشحات نوره، وإن كان كل موجود بحدوده العدمية وبقيوده الإمكانية غير الله تعالى . ويضرب لذلك أمثلة في الاسفار لتقريب هذا المعنى يطول ذكرها، كتقريبه بانبساط نور الشمس على المرثيات، وبصورة المرأة وبأمواج البحر . وعلى كل حال فالمترجم يتفق مع القائلين بتعدد الوجود والموجود من دون تجوز ، ولكن لما كان كل وجود معلولا فهو في حد ذاته متعلق بغيره ومرتبطة به، فيجب أن تكون ذاته الوجودية ذاتاً تعلقية وجوده وجوداً تعليقاً، لا بمعنى أنه شئ وذلك تكون ذاته الوجودية ذاتا تعلقية وجوده وجوداً تعليقاً، لا بمعنى أنه شئ وذلك الشئ موصوف بالتعلق، بل هو بما هو عين معنى التعلق بشئ . إلى أن يقول: ولا يمكن للعقل أن يشير في المعلول إلى هوية منفصلة عن هوية موجوده حتى تكون هناك هويتان مستقلتان في الإشارة العقلية إحداها مفيضة والأخرى مفاضة . ويتفق أيضاً مع المتصوفة في القول بوحدة الوجود والموجود من دون تجوز، ولكن لا بأن يفهم من ذلك الحلول والاتحاد لأن ذلك معناه الإثنية في أصل الوجود، ولا بأن يفهم أن الممكنات اعتبارات محضة، كيف وأن لكل منها آثاراً مخصوصة وأحكاماً خاصة ولا نعني بالحقيقة إلا ما يكون مبدأ أثر خارجي ولا نعني بالكثرة إلا ما يوجب تعدد الأحكام والآثار، فكيف يكون الممكن لا شيئاً في الخارج ولا موجوداً فيه.

والحاصل: إذا ثبت تناهي سلسلة الموجودات إلى حقيقة واحدة بسيطة ظهر أن لجميع الموجودات إلى حقيقة واحدة هي الموجودة لها ذاته، بذاته وجود وموجود وموجد، فهو الحقيقة، والباقي شؤونه. فهذا هو معنى وحدة الوجود والموجود: أن الوجود والموجود المستغني بذاته واحد لا شريك له، وهو الذي يصدق عليه أنه وجود وموجود وموجد بنفس ذاته لا يجعل جاعل وليس هو إلا الواجب تعالى . وما سواه فهو محض الفقر والفاقة والتعلق والارتباط بالواجب لا استقلال له في الوجود. وهذا معنى المجاز العرفاني.

وفي الحقيقة ليس هذا قولاً بوحدة الوجود، ولا ينبغي التعبير عنه بوحدة الوجود، كما لم يعبر هو . وإنما هو قول بالتوحيد الخاص أو الأخصي ولسنا أعداء لكلمة التوحيد . بل أعداء الاتحاد.

قال ملا صدرا في المشاعر ص ٨٣: (إياك أن تزل قدمك من استماع هذه العبارات وتتهم أن نسبة الممكنات

إليه تعالى بالحلول أو الاتحاد ونحوهما، هيهات ! أن هذه تقتضي الإثنية في أصل الوجود).

وإذا سلم صاحبنا من هذه المؤاخذة فكل مؤاخذة أخرى يهون أمرها، وليس الانسان معصوماً من الخطأ [. إنتهى كلام العلامة محسن الأمين العاملي رحمه الله.

يقول العبد العاملي: إن الإنحراف نسبي في ملا صدرا من ناحية إطرئه على ابن العربي والميل إليه وليس من ناحية معتقده بوحدة الوجود بالمعنى الذي يعتقده ملا صدرا.. كما أشرنا إليه في مطاوي بحثنا مراراً .

ومن كلام السيّد العلامة محسن الأمين العاملي رحمه الله تعالى: يتضح أنه لم يعتقد بإنحراف ملا صدرا بشكلٍ مطلق بل الإنحراف نسبيّ، لذا فقد حمله على الأحسن في نظريته حول وحدة الوجود وأتى بقرائن من نفس كلام ملا صدرا أثبت فيها أن الملا صدرا لم يرتكب شططاً يوجب التكفير أو الإنحراف بسبب اعتقاده بوحدة الوجود على النحو الصحيح الذي اعتقد به السيّد الأمين بحسب فهمه للنظرية المذكورة من نفس كتب الملا صدرا.. نعم حمل الأمين على ملا صدرا حول تبنيه للخط الصوفي وإطراء ملا صدرا على ابن العربي وإلا فلم يقدح السيّد الأمين كثيراً بملا صدرا.. بل إنه امتنع بما استشهد به بعض العلماء بأن إبراهيم ابن الملا صدرا كان ضد أبيه، معبرين عن الميرزا إبراهيم بالحلي الذي خرج من ميّت..! وقد عدّ الأمين هذا القول من أمضّ التشنيعات على ملا صدرا..!!

ومهما يكن الأمر: فإن دفاعنا بإنصاف عن ملا صدرا في نظريته حول وحدة الوجود كما كان دفاع السيّد الأمين عن ملا صدرا في ناحية وحدة الوجود بالمعنى الذي يعتقده الشيعة الإمامية هو كافٍ في إثبات المراد ودفع الشبهة عن ملا صدرا التي شوشت عقول العلماء والمتكلمين.... فهل يا ترى سيأتي المغمورون ليكفروا السيّد الأمين أيضاً أو يفتوا بإنحرافه كما أفق المغمورون الضالون بإنحرافنا لأننا ترجمنا على ملا صدرا..؟ بالرغم من أن ترجمنا عليه كان مبنياً على أسس منها:

١ - أن الرجل لم يثبت أنه قال بوحدة الواجب والموجود بل هو من رفض هذا وقال بوحدة الوجود المرتبطة بواجب الوجود وهو الله تعالى، والترابط تعلقي لا على نحو الممازجة والمجانسة فإنهما مستحيلان عقلاً.. وعلى أقل تقدير أن احتمال قول ملا صدرا بوحدة الوجود الصوفية هو من الاحتمالات التي لا يجوز البناء عليها في إعطاء حكم شرعي بفسق وكفر ملا صدرا بحسب قول السيّد محسن الأمين رحمه الله تعالى..

٢ - أن ملا صدرا تاب من تتبع أقوال الفلاسفة والتفرد بأقوالهم.. وعكف على شرح أصول الكافي وتفسير القرآن.. وأما غير هاتين المسألتين فله بحث آخر قد شط فيه ملا صدرا ونحن لا نتبناه ولا ندعو إليه.. لذا نحن لن نسامح كلّ من تعدّى علينا وافترى ولنا معه موقف بين يدي الإمام المعظم القائم المهدي عليه السلام.. فمن نعتنا بالضلال والإنحراف هو الضال والمنحرف.. فلا رحمكم الله تعالى يوم يرحم فيه المكروبين والمغمومين من شيعة آل محمد عليهم السلام.. ولنا وقفة معكم - يا من نعمونا بالإنحراف - بين يدي الإمام الحجّة القائم عليه السلام.. فوالله لناخذنّ بأعناقكم - يا عمائم الظلم والفساد والسوء - عند من لا تضيع ودائعه ولا يفرط بمواليه وأنصاره ومنهم العبد العاملي الذي طالما أذيتموه واستضعفتموه بسلطانكم - الذي حصلتم عليه من الحركة الوهابية والماسونية - وأموالكم التي جمعتموها بالحرام ومنعتموها عن مستحقيها من الشيعة الكرام.. فلنا يوم نلقاكم فيه بإذن الله تعالى فهيئوا الجواب للحساب والعقاب..!!

الإيراد على المؤاخذة الثانية (الإطراء على ابن العربي): إن إطراء ملا صدرا على ابن العربي هي المؤاخذة الكبرى عليه فلا يُعذر فيها أبداً إلا على نحو القول بأنها ملفقة عليه، ولو ثبت الإطراء واقعاً كان الواجب يدعوه التراجع عنه ولو بسطرٍ في إحدى كتبه إلا إذا كان في حال التقية ولم يقدر على ذلك فللعذر مجال، فالعيش تحت سنابك التقية لا يقدرها إلا من عاش تحت ظلالها.. ولكنّه أخطأ في كل الأحوال، فأصل الخطأ كان من بداية الإطراء في كتبه فلماذا أقحم نفسه فيه لولا رغبته في مسلك ابن العربي؟! وكأنه كان جاهلاً بالأخبار التي ذمت اتباع العامة العمياء والركوب في مراكبهم والإطراء على علمائهم وتبجيلهم وإصباح الألقاب الفخمة عليهم.. فجهله لا يعطيه العذر الشرعي ولا يسقط عنه العتاب.. ولو فرضنا جدلاً صحة ما نُسب إليه في كتبه من الإطراء على ابن العربي فلا مجال ساعتئذٍ من الإنكار عليه.. والملفت للنظر أن أغلب من اعترض عليه من القدامى والجدد لم يشيروا إلى إطرائه على ابن العربي في كتبه، مما يعني أن في الأمر شيئاً مبهماً خفي علينا.. ولو سلّمنا جدلاً بصحة ما نُسب إليه وهو مدوّن في كتبه إلا أنه اعتذر في مقدمة كتابه الأسفار ص ٥ كما سوف يأتيكم، ولو لم يُقبل عذره عند البعض فعلى كل حال هو - أي ملا صدرا - كغيره من العلماء القدامى والجدد وقعوا في هفوات عظيمة بالميل إلى الجهة الأخرى المناهضة لخط آل البيت عليهم السلام وأوقعوا معهم العوام البسطاء.. ولم يُحْمَل عليهم بشدة إلا علماء قليلون، والعبد العاملي واحد من هؤلاء القلائل الذين حملوا بشدة على علماء أحسنوا الظن بأعمدة السقيفة.

ومن زلات ملا صدرا غفر الله تعالى له ما جاء عنه في إطرائه على ابن العربي:

قال السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة ج ٩ ص ٣٢٦ : (يكثر من النقل عن محيي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ في جميع كتبه ولا يذكره الا بالتقديس والتعظيم، كالتعبير عنه بالحكيم العارف والشيخ الجليل المحقق ونحو ذلك . بل في بعض المواضع ما يشعر بأن قوله عنده من النصوص الدينية التي يجب التصديق بها ولا يحتمل فيها الخطأ.

هذا رأيه فيه، بينما أن ابن عربي هذا سماه بعض الفقهاء بمميث الدين أو ماحي الدين بل قيل: أن كل من يرى في ابن عربي حسن اعتقاد ويعتقد بآرائه فإن الفقهاء لا بد أن يعدوه كافراً ولئن دافع عنه القاضي السيد نور الدين التستري في مجالس المؤمنين وأول كثيراً من كلماته، فإن صاحب الومضات ص ٧٠٥ لم يرضه ذلك، وقال: لو كان الامر كذلك لما بقي على وجه الأرض كافر ولا هالك، وكان المترجم استشعر هذه المؤاخذة عليه، فاعتذر عن ذلك في شرحه لأصول الكافي الذي له قراء مخصوصون غير قراء كتبه الفلسفية، فقال في مقدمته ص ٥: وليعذرني إخواننا أصحاب الفرقة الناجية ما أفعله في أثناء الشرح وتحقيق الكلام وتبيين المرام من الاستشهاد بكلام بعض المشايخ المشهورين عند الناس وأن لم يكن مرضي الحال عندهم، نظراً إلى ما قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: " لا تنظر إلى

مَنْ قال وانظر إلى ما قال " وطبعاً لم يقصد ببعض المشايخ غير ابن عربي لأنه لا يستشهد بكلام غيره من مشايخ الصوفية الا نادراً جداً .

ولكن هذا الاعتذار، وتبريره بقول أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع المؤاخذة عليه في الاستشهاد بكلامه لأنه أولاً لم يعتذر عنه في كتاب آخر، وثانياً حينما يخالفه في الرأي كثيراً ما يحاول توجيه كلامه على الوجه الذي يليق به، إكباراً له باعتباره من أعظم الإلهيين القديسين عنده، خذ مثلاً لذلك مخالفته في مسألة علم الله، فإنه استعظم عليه أن يقول بثبوت المعدومات فقال في الاسفار معتذراً عنه وذكره بلفظ الجمع باعتباره الممثل لطائفة مشايخ الصوفية: لكن لحسن ظننا بمؤلاء الأكابر لما نظرنا في كتبهم ووجدنا منهم تحقيقات شريفة مطابقة لما أفاضه الله على قلوبنا مما لا شك فيه حملنا ما قالوه ووجهنا ما ذكروه حملاً صحيحاً ووجيهاً.. ثم ذكر توجيهه لقوله.

وهذا الاعتذار عنه يجعل الاعتذار عن الاستشهاد بأقواله لا قيمة له في نظر من يرى في ابن عربي مميتاً للدين أو ماحياً له، وأعظم من ذلك أنه في مسألة حدوث العالم في السفر الثاني من الأسفار يذكر فصلاً فيه بعنوان فصل في نبذ من كلام أئمة الكشف والشهود من أهل هذه الملة البيضاء في حدوث العالم (ص ١٧٦) ولا يذكر في هذا الفصل إلا كلمات لأمير المؤمنين عليه السلام ثم يقول وأما الكلام عن أهل التصوف والمكاشفين فينقل عبارات لابن عربي فقط، وحينما يحتتمها يقول: "انتهى كلامه الشريف"، فعده من أئمة الكشف والشهود وجعله في صف أمير المؤمنين عليه السلام، ووصف كلامه بالشريف يجعله أعظم من أن يصح في الاعتذار بأنه لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قيل. وهو بعد لا يجعل أحداً من الفلاسفة في رتبته، حتى الشيخ الرئيس والشيخ نصير الدين الطوسي، فإنه لا يتأخر عن نقدهما ولا يتحرج من تفنيد آرائهما دون ابن عربي . وقد سمعت كيف كان يتحاشى من مخالفته ويوجه كلامه، وإذا خالفه في بعض نكات البحث فإنه يرقق العبارة بما لا يوجب طعناً فيه راجع الاسفار ٤ : ١٦١ و ١٦٦ على الضد من مخالفته للشيخين الرئيس والطوسي. وأكبر الظن أن الذي أخذ بمجامع قلب صاحبنا صدر المتألهين من هذا الشيخ إعجابه بآرائه في الوجود التي قال عنها كما تقدم: لما نظرنا في كتبهم ووجدنا منهم تحقيقات شريفة مطابقة لما أفضى الله على قلوبنا وتغافل عن آرائه الأخرى التي يختلف معه فيها أو لم يطلع عليها على أبعد الفروض . وفي الواقع لا يريد من التعبير بكتبهم الا كتب هذا الشيخ وتلاميذه . ولا يريد من التحقيقات الشريفة إلا آراءه في الوجود وأحكام الموجودات التي هي أعني هذه الآراء سر فلسفة صاحبنا في جميع مذهبه العرفاني . قال في المشاعر ص ٥ : ولما كانت مسألة الوجود رأس القواعد الحكمية، ومبنى المسائل الإلهية والقطب الذي تدور عليه رحي علم التوحيد وعلم المعاد وحشر الأرواح والأجساد، وكثير مما تفردنا به باستنباطه وتوحدنا باستخراجه فمن جهل بمعرفة الوجود يسري جهله في أمهات المطالب ومعظمتها والذهول عنها . وكـم يتبجح في كل مناسبة انها لم تنفتح لغيره من ذوي

الأبحاث النظر كالشيخ الرئيس وأضرابه، وفي جنب ذلك يستشهد بكلام ابن عربي لتأييد آرائه . قال في الاسفار ٤ :
١٢٤ : أن هذه الدقيقة وأمثالها من أحكام الموجودات لا يمكن الوصول إليها الا بمكاشفات باطنية . . . ولا يكفي
فيها القواعد البحثية . . . ثم قال بعد صفحة عن الشيخ الرئيس : والعجيب أنه كلما انتهى بحثه إلى تحقيق الهويات
الوجودية دون الأمور العامة تبلد ذهنه وظهر منه العجز .

وفي موضع آخر من هذا السفر ص ١٣٠ يقول ويعني نفسه: إني أعلم من المشتغلين بهذه الصناعة من كان رسوخه
بحيث يعلم من أحوال الوجود أسراراً تقصر الافهام الذكية عن دركها، ولم يوجد مثلها في زبر المتقدمين والمتأخرين من
الحكماء والعلماء، لله الحمد وله الشكر .

وبالطبع لا يقصد بزبر المتأخرين ما يشمل زبر ابن عربي كيف وهو لا يفتر من الاستشهاد بأقوال هذا الشيخ في أكثر
هذه المجالات تأييداً لآرائه . إنتهى الشاهد من كلام السيّد الأمين .

تنبيه: لا ريب في صحة ما نقله السيّد محسن الأمين العاملي رحمه الله كما لا ريب في صحة انتقاده لبعض
توجهات ملا صدرا وهفواته.. لا سيّما في ردّه دفاعاً عن الشيخين: أبي علي سينا الفيلسوف والطبيب، والشيخ نصير
الدين الطوسي: الفيلسوف المتكلم والفلكي البارع صاحب كتاب التجريد، فقد تعرّض لهما ملا صدرا بالرغم من
كونهما شيعيين في حين برر لابن العربي أخطائه وشطحاته وبدعه.. وهذا التمييز خلاف العدل والإنصاف!!..

ومهما كان الحال: فإن ملا صدرا قد أعلن عن توبته منها بعدة عبارات تتم عن أسفه عما جرى قلمه من مديح
لابن العربي وهذه الهفوات لا تخرجه من الدين وتدخله في سلك الكافرين كما ادعى العلامة الكبير السيّد محسن
الأمين.. نعم هي مصيبة كبيرة وذنب عظيم يستلزم الكفر فيما إذا اعتقد ملا صدرا بحسن عقيدة ابن العربي وإيمانه
بالجبت والطاغوت.. وللسيد الأمين مكانته العلمية لا أحد ينكرها ولا يغض الطرف عنها إلا أن تلك المكانة لا تعني
بالضرورة صحة بعض ما يفتيه بحق رجل أعلن توبته مراراً وبرر فعله بعدة محطات من كتبه فلا داعي لمحاسنته بعد توبته
وإنابته.. ولو لم يكن إلا تبريره في شرح أصول الكافي بقوله (وليعذرني إخواننا أصحاب الفرقة الناجية ما أفعله في أثناء
الشرح وتحقيق الكلام وتبيين المرام من الاستشهاد بكلام بعض المشايخ المشهورين عند الناس وأن لم يكن مرضي الحال
عندهم، نظراً إلى ما قال إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام: لا تنظر إلى مَنْ قال وانظر إلى ما قال) وكذا قوله في موضع
آخر: (نهاية أقدام العقول عقال، وما استفدنا من بحثنا طول عمرنا إلّا أن جمعنا فيه قيل وقال) ولو فرضنا أن كلّ ذلك
غير وافٍ وكافٍ في توبته، فلا يمكننا في هذه الحالة إلّا التسليم لله تعالى والقول ما قاله العلامة الأمين.. فيبقى إطاراً
ملا صدرا لابن العربي خطيئة عظيمة موكولاً أمره فيها إلى الله تعالى والحجج الأطهار عليهم السلام.. والله العالم بحقائق
الأمر..

والخلاصة: إن توبة ملا صدرا عن خوض القيل والقال في الفلسفة لعلمه بأنه لم يستفد منها روحياً من هنا حاول الجمع بين البرهان المشائي والمنهج الصوفي المعتدل بنظره وقال الأبيات التي قالها الرازي بعد ندمه على تتبع أقوال الفلاسفة وهكذا فعل الملا صدرا...!!

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعى العالمين ضلال

ولم نستقد من علمنا طول بحثنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

وكذلك غالب أكابر الذين كانوا يخوضون في الفلسفة والكلام، فإنه ينتهي بهم أمرهم إلى الحيرة وعدم الثقة بما كانوا يقررون، وذكروا عن الشهرستاني صاحب الملل والنحل أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، وقد قال في ذلك:

*لعمري لقد طفت المعاهد كلها

*وسيرت طريقي بين تلك المعالم

*فلم أرَ إلّا واضعاً كفّ حائر

*على ذقنٍ أو قارعاً سنّ نادم.

الإيراد على المؤاخذه الثالثة: (الإطراء على الصوفية): نعم لقد مال ملا صدرا إلى الصوفية ولكن صوفيته تختلف عن الفرقة الصوفية في المذهب الشافعي التي نعتها بالضلال.. وإليكم ما قاله العلامة السيد محسن الأمين العاملي في كتابه أعيان الشيعة ج ٩ ص ٣٢٤ نقلاً عن ملا صدرا: "فان ما تيسر لنا بفضل الله ورحمته وما وصلنا اليه بفضل وجوده من خلاصة اسرار المبدأ والمعاد مما لست أظن ان قد وصل اليه أحد ممن اعرفه من شيعة المشائين ومتأخريهم دون أئمتهم ومتقدميهم كأرسطو ومن سبقه، ولا أزعّم إن كان يقدر على اثباته بقوة البحث والبرهان شخص من المعروفين بالمكاشفة والعرفان من مشائخ الصوفية من سابقهم ولأحقّهم".

قال السيد محسن الأمين تعقيباً: "إذن لا المشاؤون بلغوا ما بلغه بالمكاشفة، ولا الاشرافيون والعرفاء بلغوا ما بلغه بالبحث والبرهان . فهو المتفرد بجمعه بين مسلك الطائفتين والتوفيق بينهما.

ثم تابع الأمين كلام ملا صدرا ليؤكد سر تفوقه في منهجه: وظني ان هذه المزية انما حصلت لهذا العبد المرحوم من الأمة المرحومة، من الواهب العظيم والجواد الرحيم، لشدة اشتغاله بهذا المطلب العالي وكثرة احتماله من الجهلة والأرذال

وقلة شفقة الناس في حقه وعدم التفاتهم إلى جانبه، حتى أنه كان في الدنيا مدة مديدة كأنه يشير إلى دور العزلة كتيباً حزيناً ما كان له عند الناس رتبة أدنى من آحاد طلبة العلم، ولا عند علمائهم الذين أكثرهم أشقى من الجهال قدر أقل تلاميذهم، وصرح هو مرة في الاسفار ج ٤ ص ١٦١ بجمعه بين الطريقين إذ علل اختلافه مع بعض مشايخ الصوفية في بعض أقوالهم، فقال: (لأن من عادة الصوفية الاقتصاد على مجرد الذوق والوجدان فيما حكموا عليه، وأما نحن فلا نعتمد كل الاعتماد على ما لا برهان عليه قطعياً، ولا نذكره في كتبنا الحكيمية ..).

ثم قال السيّد محسن الأمين معلّقاً: "ولم يزل يشنع على من يستعمل أحد المسلكين دون الآخر"، كقوله في مفاتيح الغيب ص ٣ ومثله في الاسفار ص ٤ : ولا تشتغل بترهات الصوفية ولا تركن إلى أقاويل المتفلسفة، وهم الذين إذا جاءهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . وقانا الله وإياك يا خليلي من شر هاتين الطائفتين ولا جمع بيننا وبينهم طرفة عين. بل عبّر في مقدمة تفسير الفاتحة عن الطائفة الأولى بالمبتدعين المضلين، وعن الطائفة الثانية بالمعطلين الضالين . ثم قال: لأن كلّهم من أولياء الشياطين وأبناء الظلمات وأهل الطاغوت.

بيان من العاملي: ما أشار إليه السيّد الأمين من أن ملا صدرا شنع على من يستعمل أحد المسلكين دون الآخر لم يكن صحيحاً، بل الصحيح أن ملا صدرا شنع على المسلكين معاً: ترهات الصوفية وأقاويل المتفلسفة.. فتأمل عبارته جيداً فيما تقدم.

وتابع العلامة محسن الأمين بالقول: (إذن فلسفته التي يدعو إليها ويخلق فيها هي الجمع بين طريقة المشائين وطريقة الاشراقيين والتوفيق بينهما، وعلى هذا تبني مدرسته العلمية تعليمه وارشاده لأبنائه الروحانيين ولأجلها ألف معظم كتبه لا سيّما الأسفار، إذ قال في مقدمته آخر ص ٣: قد اندمجت فيه العلوم التأهيلية في الحكمة البحثية، وتدرعت فيه الحقائق الكثيفة بالبينات التعليمية ولا يجد غنى للسالك باحدى الطريقتين عن الأخرى كما سبق). راجعوا أعيان الشيعة ج ٩ ص ٣٢٤ ترجمة محمد الشيرازي القوامي (صدر المتألهين).

لفت نظر من العبد العاملي: لقد نعت صدر الدين الشيرازي الفرقة الصوفية بشقّى أصنافها، بأولياء الشياطين وأبناء الظلمات وأهل الطاغوت، وهو أمر يجب أن نأخذه على محمل الجدّ والصدق.. لا أن نتمسك بأقواله الأولى ونترك المتأخرة التي أعلن توبته منها!!..

إنّ صوفية ملا صدرا تختلف بماهيتها عن صوفية ابن العربي، ولا يستلزم كلامنا هذا إقناع المؤمنين بالمسلك الصوفي.. كلا وربّ الكعبة.. ونحن نخطئ الملا صدرا لتبنيه المشرب الصوفي الذي نعتة بالضلال، بل لعلّ أحد الأسباب الداعية إلى عزله ليس لأجل الرياضات الروحية فحسب بل إن أحد أسبابها هو في الواقع الزهد والخلوة مع ربّه

والهروب من الناس، فأحبَّ العزلة عن الناس لشدة ما رموه به ووصموه بأشنع العبارات وأقذعها...وعلى فرض أنه اعتزل الناس من باب التصوف فإن ذلك من الهفوات العظيمة التي وسم نفسه بها، فلا داعي لأن يسلك المنهج الصوفي النظري، فهو بغنى عنه، وكان الواجب يدعوه أن لا يسلك هذا المنهج الزهدي - إن صح التعبير - وهو أدرى بحاله منا نحن البعيدون عنه ما يناهز الأربعمئة عاماً فكيف نصدق بكل ما نعتوه به...! فلربما سمَّى ملا صدرا الزهدَ أو طريقة السلوك خطأ صوفياً أو طريقة صوفية، بينما مدرسة آل البيت عليهم السلام ليست بحاجةٍ إلى خطِّ صوفيٍّ لكي يسلكه ملا صدرا وأمثاله...! ولربما ألصق الأعداء الصوفية على ملا صدرا ليفتخروا به كفيلسوف مبتكر منتسب إلى خطهم الصوفي ليكبروا بالالتصاق به؛ أو نسبه أعداؤه إلى الصوفية ليحطكوه، من هنا أصاب أحدهم بقوله: "إن من نعتة بالصوفية ووحدة الوجود الباطلة هما ملفقتان عليه لتحطيمه..." بل هو مؤمن بالله ورسوله وأهل بيته الأطهار وزاهد في الدنيا فلا يجوز رميه بما هو ظن سيء فيه، ولو فرضنا صحة ما نسبوه إليه فقد تاب منه وأناب بدليل بعض التصريحات العلنية التي أصدرها في آخر حياته من جهة، ولأنه من جهة أخرى قد انكب على تفسير القرآن وأصول الكافي المشحون بضلال غير التابعين لأهل البيت عليهم السلام بل مليء بالأخبار المكفَّرة لتارك ولايتهم وإمامتهم... وهل أن الكافر المضال المضل المعتقد بوحدة الوجود والموجود الباطلة يشرح أصول الكافي الشريف بكل ما فيه وما يحويه من أبواب ودلالات حول التوحيد الإلهي والإمامة والولاية لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم...!!؟.. كلا ثم كلا..

إن الخط الصوفي في الوسط الشيعي هو خط ضلال وكفر اصطنعه الشيطان في عقول بعض المعممين الشيعة وقد شاهدنا فيديو لبعض الصوفية في النجف وفيهم مشايخ وسادة شيعة ولديهم مجالس ذكر فيها الرقص والدق على الطبول والدفوف وغيرها من المعازف... وترقص الرجال مع النساء في جلسة الذكر والسكر الروحي على نغمات الموسيقى والرقص، وتشعبت من الفرقة الصوفية عدة فرق متنوعة بتوجهاتها كجماعة الصرخي في العراق وأحمد الحسن في لندن ومحمد الحاج في لبنان الذي جمع بين الديانة الإسلامية بعمامة فرقها وبين طقوس المسيحية والصوفية... وقد أخبرني إحدى النساء الهاشميات في لبنان بأنها حضرت مجلس الحاج المذكور في معهد له يسمى بمعهد "الحكمة" في منطقة الرادوف في الضاحية الجنوبية، وكان هذا المنحرف الضال المضل يحتلي بالنسوة المتزوجات وغير المتزوجات وهن مكشفات عن رؤوسهن وصدورهن وأفخاذهن بحجة أن الحاج هو والدهم الروحي وكنَّ يتعطرن ويلبسن الثياب الرقاق له... وثمة غرفة نوم خاصة لهن يحتلين بالحاج في تلك الغرفة كلُّ واحدة منهن لها ليلة خاصة للتعليم الروحي...!!

هذا هو التصوف الشيعي الجهنمي المقتبس من المنهج الصوفي العمري فاتخذوه ذريعة للزنا والسحاق واللواط على المنهج الصوفي الشافعي... أبعد هذا كله كيف يمكن لكل عاقل مؤمن أن يدَّعي التصوف المعتدل في حين نُت

أخبارنا الشريفة من اتباع مناهج العامة العمياء بشقى فرقها وتنوعها وتوجهاتها..رحمك يا رب من بدعٍ أقرحت قلب الغيور وأدخلت الهمَّ والغمَّ على قلب الإمام المعظم وليّ الأمر المطهر صاحب العصر والزمان عليه السلام والمقتفين لأثره من العلماء الأتقياء وعباد الله الصالحين!!..

الإيراد على المؤاخذه الرابعة (وهي تهجمه على العلماء) بوجهين هما:

(الوجه الأول): العلماء ليسوا بمعصومين عن الخطأ والخطيئة..فمنهم النقي ومنهم الشقي، وقد ذمت الآيات والأخبار علماء السوء وحذرت منهم ونهت عن الأخذ معاطنهم الوسخة وآبارهم الآسنة..كما حذرت من الخط الصوفي الشيعي بشكل عام وهو واحدٌ من الفرقة الصوفية العمرية، ونؤكد تحذيرنا منه لتبنيه الخط الموسوم بالصوفية المعتدلة المبتدعة من خندق العامة العمياء، فإن الرشيد في خلافهم..فلا يجوز لغير العلماء المتمكنين من العقيدة الصحيحة الإنكباب على كتبه المشحونة بكلمات بعض الصوفيين كإبن العربي وأمثاله فيستلزم التأثير بأفكاره حول الصوفية وحسن الظن بإبن العربي الملعون..نعم لا بأس بقراءة كتبه الأخرى على حذر شديد لمتوسطي الحال في المعرفة كشرح أصول الكافي وتفسير القرآن..ونؤكد قولنا السابق بأن ملا صدرا تاب من تتبعه لأقوال الفلاسفة وانكب على تفسير القرآن وشرح الأحاديث الموثقة في كتاب أصول الكافي وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صحة الدعوى القائلة بتوبته ورجوعه إلى الأحاديث الشريفة، وهذه فضيلة يجب أن نسلط الضوء عليها لا أن نبقي مترمتين منه حتى بعد إنابته وتوبته وتندمه على ما فعله طيلة عمره بتتبع أقوال الفلاسفة والصوفية والإطراء على بعضهم على فرض صحة النسبة المزعومة بحقه..

وإليكم ما عثرنا عليه من وثائق تؤكد ما أشرنا إليه أعلاه كما أشرنا إلى بعض الجهات الأكاديمية بأن ملا صدرا تاب مما كان عليه بدليل قول المحشي في مقدمة تحقيقة على الأسفار، فقامت تلك الجهة بالبحث والتنقيب فوجدت مستنداً مهماً لإعلان توبته بقوله المشهور في آخر تفسيره لسورة البقرة: (نهایة أقدام العقول عقال، وما استفدنا من بحثنا طول عمرنا إلا أن جمعنا فيه قيل وقال) . وها هي رسالة تلك الجهة إلينا: [بما تفضلتم به، فالأمر واضح تماماً: هناك بالفعل تعليقة في مقدمة "الأسفار" يشير فيها المحشي إلى أن صدر المتألهين - أي الملا صدرا - قد تاب في آخر عمره عن الانغماس في أقوال الفلاسفة، وأنه مال إلى طريق العرفان والكتاب والسنة، وبعد تتبّع النسخ المطبوعة والمحققة من الأسفار الأربعة، تبين أن الإشارة التي تقصدها موجودة في الجزء الأول، في مقدمة التحقيق أو الحاشية الأولى على المقدمة، وقد ورد نحوها في تعليق المحقق أو الحاشي على صدر الكتاب بعبارة قريبة من التالي (أنقل بالمعنى لا بالنص الحرفي): قيل إن المصنف — رحمه الله — قد تاب في أواخر عمره عن تتبع الفلسفة ومقالاتهم، وانصرف إلى

العرفان، بل كان يلهج بالكتاب والسنة، ويصرّح بندمه على ما فرط في تتبع آراء الحكماء، وأنه لم يجد في تلك المباحث طمأنينة القلب.

وهذه العبارة تُذكر في بعض النسخ المطبوعة القديمة من الأسفار، خصوصًا الطبعة الحجرية بطهران (عام ١٢٨٢هـ) ونسخ أخرى، في أوائل الجزء الأول، ضمن تعليقات هامشية كتبها بعض المحشين المتأخرين - ويُظن أنه أحد تلامذة المدرسة الشيرازية أو من المتأثرين بالمولى علي النوري أو بالحق السبزواري، وليس من تلامذة صدر الدين مباشرة. والجدير بالذكر أن بعض الشراح مثل العلامة الطباطبائي في حواشيه على الأسفار، وكذلك السبزواري في شرح المنظومة، أشاروا إلى أن ملا صدرا في أواخر حياته غلب عليه "ذوق أهل العرفان" وابتعد عن الجدل العقلي، دون أن يصرّحوا بالتوبة بمعنى الإنكار الكلي للفلسفة، بل بمعنى تحوُّله من البحث البرهاني إلى شهود الحقائق.

ومن القرائن التي يربطها العلماء بهذه التوبة المعنوية قوله المشهور في آخر تفسيره لسورة البقرة كما أشرتم: (نهایة أقدام العقول عقال، وما استفدنا من بحثنا طول عمرنا إلا أن جمعنا فيه قيل وقال) فهذه تدل على مراجعة ذاتية وتوجّه إلى الله بمعرفة ذوقية أكثر من العقل النظري. وتابعت تلك الجهة بالقول: خلاصة موضع النص الذي تسألون عنه لفقدانكم كتبكم بسبب ضياعها بفعل الحرب في لبنان هو التالي: الجزء الأول من الأسفار الأربعة، في مقدمة الكتاب، في تعليقة أحد المحشّين (الطبعة الحجرية أو بعض طبعات قم القديمة)، مضمونها: توبة ملا صدرا عن تتبع أقوال الفلاسفة، وميله إلى العرفان والسنة في أواخر عمره.

وفيما يلي نصّ تعليقة المحشي التي وردت في مقدمة الأسفار الأربعة (الجزء الأول، من الطبعة الحجرية القديمة بطهران، نحو سنة ١٢٨٢هـ)، والنص كما ورد في حاشية مقدمة الأسفار (الجزء الأول): قال المحشي:

"قيل إن المصنف رحمه الله - أي صدر الدين الشيرازي - قد تاب في أواخر عمره عن تتبّع الفلسفة ومقالاتهم، وانصرف إلى العرفان والسنة، وكان يقول: ما وجدت الطمأنينة في شيء من تلك المباحث، وإِنما الطمأنينة في كلام الله وكلام رسوله وأهل بيته عليهم السلام. وقد شُهد منه ذلك في أواخر أمره حتى كان يلهج بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار".

والخلاصة في تحليل اللجنة الأكاديمية: [إنّ هذه الحاشية من أشهر ما يُستدلّ به على أن ملا صدرا قد غيّر نظره إلى الفلسفة النظرية الخالصة في نهاية حياته، لا بمعنى رفض "الحكمة المتعالية" بما هي طريق الجمع بين العقل والوحي، بل بمعنى أنّه تجاوز مرحلة البحث العقلي المجرد إلى ذوق العرفان النوراني، حيث رأى أن الكمال الحقيقي هو في الشهود الإيماني لا في الجدل الفلسفي؛ وقد أيد هذا الفهم جملة من تلامذته، منهم الملا علي النوري والحق السبزواري، وصرّحوا بأنّ «توبة صدر الدين» لم تكن توبة عن الحكمة، بل توبة عن «الإفراط في العقل النظري» دون أن يكون

مقروناً بالعمل والشهود]. والمقال المقتضب لهذه اللجنة الأكاديمية أكدت لنا ما كنّا نبنى عليه في توبة صدر الدين الشيرازي وقد لفتنا نظرها إلى توبة ملا صدرا من أقوال الفلاسفة ومنهج الصوفية الضال.. من هذا المنطلق كنا قد ترجمنا على ملا صدرا في كتابنا "الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية" لأمرين ذكرتهما لأحد تلامذتي الذي ردّ على مغمور فاسق نعتني بالمنحرف عبر موقع يا حسين تحت عنوان "رد على موضوع (إنحراف محمد جميل حمود العاملي وترجمه على الملا صدرا) وهذان الأمران هما الآتيان مع شيء من الزيادة الحديثة:

(الأمر الأول): إن سماحته أحسن الظن بملا صدرا كما فعل غيره من الأعلام في الطائفة منهم السيد محمد الحسيني الشيرازي والخميني والخوئي والميرزا الغروي والطببائي وغيرهم من الأعلام، وذلك لأن ما نسب إليه بقوله بوحدة الوجود هو مخالف لرأي آخر له في كتابه الفلسفي المعروف (بالأسفار الأربعة) حيث وحد الله تعالى وقال بإستحالة التجسيم على الله تبارك ذكره، هذا عدا عن أن مقولة وحدة الوجود هي من الأسس لدى العامة العمياء، لذلك فإنّ سماحته - وبعد وجود التناقض في الكتابين - أحسن الظن به وحمله على الأحسن كما أمرت بذلك أخبارنا الشريفة، حيث احتمل أن مقولته بوحدة الوجود بالمعنى الصوفي المنحرف، قد تكون مدسوسة على ملا صدرا لا سيّما أن العلماء مختلفون في نسبة القول إليه بوحدة الوجود بالمعنى الباطل عند الشيعة الإمامية.. والصواب بمقتضى ما توصلنا إليه أن ملا صدرا لا يقول بوحدة الوجود بالمعنى الصوفي الضال حسبما فصلناه لكم في بحثنا هذا حول معنى وحدة الوجود وجوهر الخلاف فيها..

(الأمر الثاني): إن ملا صدرا وللعلم هو من شرح أصول الكافي في روايات آل البيت عليهم السلام، وكما هو معلوم أن أصول الكافي فيه ما يكفي من الروايات التي تنهى عن التجسيم ووحدة الوجود وغير ذلك من مقالات العامة العمياء أتباع أبي يزيد البسطامي القائل بأن الله تعالى في كمّه والعياذ بالله تعالى، وكقول العامة العمياء بأن الله تعالى يرى يوم القيامة وأنه ينزل على حمار أعرج كلّ ليلة جمعة يدعو المؤمنين ليستغفر لهم وأن الله تعالى عينان وفم وأذنان ويدان ورجلان ويجلس على كرسي ولحيته بيضاء وله عورة كبيرة لا يمكن وصفها كما قال الراوي الذي سُئل عن ماهية الله فقال: سلوني عما بدا لكم عن الله تعالى إلا العورة.. وقد شرح ملا صدرا الكافي وهو مليء بتكفير كلّ من حدّ الله بحدّ أو جسّمه بجسم.. فلو كان ملا صدرا يؤمن بالتجسيم أي وحدة الوجود والموجود بالمعنى الباطل للوحدة، فلماذا يا تُرى يشرح ملا صدرا ما ليس مقتنعاً به ؟ !! .

وبالجملة: إن العلماء دائماً يختلفون بأرائهم فلا موجب للتكفير وإلصاق الضلال إلا على نحو الجزم والقطع بسوء آراء العالم وفساد دينه.. ومن هم العلماء الذين لم يعترض بعضهم على بعض..؟ لم نجد عالماً يعتقد بأن خصمه مخطئ إلا وانتقده واعترض عليه..!! فأكثر الفقهاء أشكلوا على بعضهم البعض بل وفسق بعضهم بعضاً ونعتوا بعضهم

بالحمق وقلة الدين والزيف والضلال.. فلا عجب من أن يصدر من ملا صدرا ما صدر من غيره لا سيّما وأنهم كفروه وأخرجوه من الدين.. أترون أنه يجب عليه أن يطبق فمه أو يفتحه بالإطراء والمديح والتبجيل لمن قدح فيه وأفتى بكفروه..!!؟

(الوجه الثاني): من الطبيعي جداً أن ينتقد صدرُ الدين الشيرازي (ملا صدرا) العلماء الذين خالفوه بنتائجه التي توصل إليها وكفروه ولعنوه بسببها مع عجزهم عن معرفتها وعدم تتبعهم لعامة كتبه ليروا حقيقة مسلكه ومنهجه وما هو موقفه من الصوفية القائلين بالإتحاد والوحدة الصوفية الفاسدة، بل بالعكس فقد نبذوه من قم واحتقروه فاضطر إلى إعتزالهم والفرار منهم.. فكما يجوز لهم إنتقاده لإعتقادهم بأنه منحرف، كذا يجوز له انتقادهم وإبعاد الناس عنهم كما أبعدوهم عنه.. فالصولات والجولات بين العلماء كانت ولا زالت على قدم وساق.. فيها هم بعض الفسقة أخرجونا من الدين ووصمونا بالإنحراف لأننا انتقدنا بعض العلماء الذين انحرفوا عن المسار الصحيح وبدلوا أحكام الدين ومعارف العقيدة المستقاة من مصادرها الصحيحة.. وكان من الواجب على علماء عصره أن يناقشوه بالحسنى فيما لو كان على ضلال لا أن ينفروا منه ويبعدوا الناس عنه..! وهذا ديدن الحوزات الشيعية التي نخر ولا يزال ينخر فيها الحسد والضغينة إلى يومنا هذا.. يعادون لأجل المصالح ويحبون لأجل المآرب إلّا من رحم ربي وقليل ما هم..!! وليس بعيداً في النظر أن معاداتهم له، أحد أسبابها هو الحسد لأجل تفوقه على الأقران، ولأجل ابتكاره لنظرية الحركة في الجوهر التي خالف فيها فلاسفة اليونان والإغريق..! فيها هو الشيخ الإحسائي بالرغم من أنه يكره الصوفية ويميل إلى الفلسفة في بحوثه كالعرشية وغيرها فقد كفروه ونبذوه ونفروا المؤمنين عنه ونعتوه بما ليس فيه، فمنعوا كتبه من الإنتشار وتأديب كل مكتبة تباع كتبه في إيران.. فالمسألة تدور مدار التفوق على الأقران في أكثر الأحيان.. فيقع النزاع والكيل والقال..!

وهكذا الحال في ملا صدرا حيث نسبوا إليه أنه أنكر المعاد الجسماني واعتقد بالمعاد الروحاني وهي نسبة غير صحيحة ألصقت به وهو بريء منها، فقد قال في شرح الهداية الأثيرية ص ٣٨١: "كون البدن المحشور يوم القيامة لا يمثل عين البدن الدنيوي.. بل هو عين البدن الأخروي للبدن الدنيوي لا مثله.. وهذه غير قابلة للتأويل واعتمد على قوله تعالى (من يحيي العظام وهي رميم..) وقوله تعالى (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) لإعادة البدن نفسه يوم القيامة أمر ممكن غير مستحيل وأمره من ضروريات الدين وهو من سنخ هذا البدن.. وقد دلت عليه النصوص الكثير الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة..".

الخاتمة: وقبل أن ننهي البحث حول وحدة الوجود لا بُدّ لنا من تلخيص ما بنى عليه ملا صدرا معرفته العلمية المبنية على مزيج من الخلط بين العرفان الصوفي والفلسفة المشائية، وأهم الأسباب التي دفعت (ملا صدرا) إلى الميل نحو خطأ الصوفية العرفانية المعتدلة بحسب تصوير البعض، لا سيّما المتأثرة بإبن العربي والغزالي وقد استوحاها ملا صدرا منهما

ويشهد له ما ذكره بعض المتبعين للأسفار من أن ملا صدرا كان يقتبس من نصوص ابن العربي وغيره من دون أن يذكر الإقتباس، وقد دمجها في إطار الفلسفة الإسلامية الشيعية، ويمكن تلخيص الدوافع في خمسة محاور رئيسية:

١. السبب المعرفي - المنهجي: كان ملا صدرا يسعى للوصول إلى "العلم الحضورى" الذي يعتقد أنه أرقى من "العلم الحسولى" البرهانى. وقد وجد في منهج العرفاء، خصوصاً ابن العربي، باباً مفتوحاً لهذا النمط من المعرفة الشهودية القلبية.. لأن الفلسفة المشائية عنده - رغم دقتها البرهانية - لا توصل السالك إلى المشاهدة القلبية، بل توصله إلى التصور الجدلي المحض، أما الكشف الصوفى، فهو عنده إدراك مباشر للحقيقة، لا يشوبه خيال ولا توهم بحسب زعمه، فتوكلأ على عصا ابن العربي الصوفى ولم يتكئ على منابع الفيض عند آل محمد عليهم السلام..! هذا كله قبل التوبة، وأما بعدها فلربما أصاب شيئاً من العلم الكشفي عبر الحجج الأطهار عليهم السلام أثلج صدره واطمأن به قلبه..

ولهذا قال في الأسفار: "البرهان إن لم يعضده الكشف كان حجاباً من حجب النور.. فانجذب إلى ما يسميه "الحكمة الذوقية"، وجعلها مع "الحكمة المشائية" فاقتبس التصوف من ابن العربي والغزالي بعبارات نسخها منهم أو أنها كانت متداولة في الوسط الشيعي الشعبي في إيران باعتبار أن المنهج السائد كان يومذاك هو المنهج الصوفى الصرف وكان علماء ذلك العصر متأثرين كثيراً بالفكر الفلسفي والصوفى المستورد من بلاد الإغريق واليونان.. من هنا نجد الكثير من المصطلحات الفلسفية والصوفية في كتب علماء إيران في تلك الفترة وما بعدها كالشيخ البهائي والسيد الداماد والمحقق الكركي والحرّ العاملي وأمثالهم ممن عاشوا في إيران في أحضان الدولة الصفوية وما بعدها كالشيخ محمد تقي المجلسي وابنه الشيخ محمد باقر المجلسي، والشيخ محمد مهدي النراقي المتوفى (عام ١٢٠٩ هجري) صاحب كتاب جامع السعادات وكان مرجعاً كبيراً ثم ابنه الشيخ أحمد النراقي المتوفى (عام ١٢٤٤ هجري) صاحب كتاب مستند الشيعة وقد تولى زمام المرجعية بعد أبيه محمد مهدي.. وكذلك الفيض الكاشاني... كل هؤلاء قد امتلأت كتبهم بمصطلحات الفلسفة والتصوف فلا داعي لذكرها لوضوحها في كتبهم.. وهؤلاء عاشوا في كنف الدولة الصفوية الشيعية التي امتد حكمها قرابة مائتين وخمسين عاماً منذ تأسست في عام ٩٠٦ هجري إلى عام ١١٤٨ هجري، والمؤسس الأول هو إسماعيل الصفوي ثم جاء بعده طهماسب الأول، والمؤسس الثاني والأخير هو عباس الصفوي رحمهما الله تعالى... وخلال فترة الحكم الصفوي انتشر التصوف بشكلٍ مريع ولعلّ السبب في ذلك يعود لأمرين: أحدهما حبّ الصفويين للتصوف بسبب تأثرهم به خلال فترة حكمهم أو في بداياته باعتبارهم جُددًا على التشيع الحنيف، ولا نتغاضى عن المعلومة التاريخية القائلة (ولا ندري ما مدى صحتها) بأن المؤسس للعائلة الصفوية والفرقة الصفوية في إيران هو صفى الدين الأردبيلي الذي كان جزءاً من جماعة الصفوية التابعة للطريقة النقشبندية، وهي طريقة خاصة أو منهج خاص في الزهد والتقشف يسمى بالقيادة الزاهدية.. كما أن صفى الدين كان شافعيّاً

بالأصل، ومن المعلوم أن المذهب الشافعي هو من أكثر المذاهب السنيّة إنتشاراً في بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر وهو من أكثر المذاهب قريباً من الشيعة الإمامية.. لذا انتشر منهجه الزهدي سريعاً في إيران وما حولها يومذاك، ويشهد على ما أشرنا إليه هو تأثر الشيخ أبو جعفر الطوسي (المتوفى عام ٤٦٠ للهجرة) بالمذهب الشافعي ونرى ذلك جلياً في طريقة بحثه الفقهي الإستدلالي في كتابه "المبسوط" مع أنه سابق على قيام الدولة الصفوية بما لا يقل عن خمسمائة عاماً تقريباً.. وثانيهما: إختلاط الشيعة في إيران بغيرهم من بقية المذاهب المنتشرة في الإمبراطورية الصفوية التي حكمت مساحات شاسعة محيطة بإيران جنوباً وشرقاً وغرباً.. له أثر كبير على انتشار الصوفية في إيران الحديثة العهد بالتشيع في عامة مناطقها سوى المدن الثلاث: قم والري ومشهد وهي مدن مشهورة بالتشيع، فكان من الطبيعي أن يتأثر علماء الشيعة إلا القليل منهم بالتيار الصوفي الذي انتشرت كتبه سريعاً في عهد الإمبراطورية الصفوية..

وامتدت حدود الدولة الصفوية من روسيا شمالاً إلى الديار الهندية جنوباً، ومن بلاد الأوزبك شرقاً إلى الديار الشامية غرباً، وقدّر للدولة الصفوية أن تتصدر القوى العظمى في زمانها وأن تكون معقلاً للعلم والأدب والفنون المعمارية، وقد ترك الصفويون إرثاً عميقاً وميراثاً عظيماً لا يزال حاضراً حتى العصر الحالي..

وبناءً عليه: فإن الفلسفة والتصوف كانا الميزة الفريدة التي كان يتسم بها علماء ذلك العصر ومنهم الملا صدرا.. فمن الطبيعي أن يتبنى الخط الصوفي كمنهج اتبعته الدولة الصفوية ولكن بمنهج شيعي إثني عشري.. وهذا ليس معذراً للملا صدرا لكي ينكب على مدرسة ابن العربي مميت الدين وأمثاله ليرضي نفسه ويرضي الآخرين، وإن كان ملا صدرا يتميز بفوارق عن مدرسة ابن العربي الملعون... فبينهما وجوه اتفاق ووجوه اختلاف في المنهج العرفاني والفلسفي، فإبن عربي جعل الذوق القلبي أساساً والعقل تابعاً، فمصدر المعرفة العرفانية عند ابن العربي هو الكشف والمشاهدة القلبية الخالصة بعد التصفية والزهد والرياضة الروحية؛ بينما يرى ملا صدرا أن الجمع بين البرهان العقلي والكشف القلبي والوحي القرآني (الحكمة المتعالية) هو الصحيح، فملا صدرا لم يرفض الكشف، لكنه قيّده بالعقل والوحي ليحفظه من الانحراف.

والفارق الثاني بينهما هو أن ابن العربي يرى أن العلاقة بين الحق والخلق هي وحدة شخصية أي وحدة الوجود المطلقة: لا موجود إلا الله، والكائنات تجليات لأسمائه وصفاته متحدة فيه، بينما يرى ملا صدرا أن العلاقة بين الحق والخلق هي وحدة الوجود المشككة: الوجود حقيقة واحدة ذات مراتب متفاوتة في الشدة والضعف، فهنا يكون الملا صدرا قد خفّف من غلوّ ابن العربي في وحدة الوجود، فجعلها وحدة تشكيكية ذات مراتب متفاوتة.. فقد أعاد ملا صدرا صياغة مفهوم "الكثرة في الواحد" بما يتوافق مع فلسفته عن الوجود المشكك والمراتب الوجودية.

٢- الجمع بين البرهان والكشف..وهو منهج علمي عنده خلاصته: إدراكه أن البرهان وحده لا يكفي للوصول إلى الحقائق؛ والذوق والكشف ضروريان لفهم حقيقة الوجود.

٣- تجربة العزلة والرياضة في جبل كهك وتهذيب النفس لتصفية القلب لإدراك الحقائق بمعونة الوحي والعقل، بخلاف ابن العربي فقد استغنى عن العقل واعتمد على الكشف القلبي حتى أنه ادعى أنه كان يرى الشيعة بصورة خنازير..هذا هو كشوفات ابن العربي!!

٤- سعى لتوحيد المدارس الفلسفية والعرفانية والقرآنية ضمن الحكمة المتعالية، وهو منهج فكري . توفيقى اجتماعي .

٥- أراد جعل الفلسفة مقبولة اجتماعياً وعقلياً عبر إدخال مفاهيم...وهو منهج عقلي إجتماعي .

نقول في الختام: لسنا بحاجة للمنهج الصرداوي (ملا صدرا) ولا للمنهج العرباوي (ابن العربي)، فكلاهما من نفس الخندق بثوبين متعددين بالألوان المزخرفة، {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } الأنعام ١١٢ {وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ } الزخرف ٣٥ .

إنَّ أهل البيت (صلوات ربي عليهم) هم الخير كله والفيض كله والنور كله، قال إمامنا المعظم عليّ الهادي عليه السلام في الزيارة الكبيرة معلماً لنا نهج السلوك النابع من فيضهم الأقدس (فما أحلى أسماءكم و أكرم أنفسكم و أعظم شأنكم وأجلّ خطرکم وأوفى عهدكم كلامكم نور وأمرکم رشد ووصيَّتکم التقوى، وفعلکم الخير وعادتکم الاحسان وسجيَّتکم الكرم وشأنکم الحق والصّدق والرّفق، وقولکم حکم وحتم ورأيکم علم و حلم وحزم، إن ذکر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه، بأبي أنتم وأمّی ونفسي كيف أصف حسن ثنائکم وأُحصی جمیل بلائکم وبکم أخرجنا الله من الدّلّ وفرّج عنا غمرات الكرب وأنقذنا من شفا جرف الهلكات ..) .

إن شریعتهم (صلّى الله عليهم) إمتدادٌ لشریعة جدّهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الكاملة بکمال ولاية جدّهم أمير المؤمنين وولایتهم، فليس فيها نقص حتى نحتاج إلى مدرسة ابن العربي وملا صدرا ليكملها لنا، فکلّ فريقٍ نهجٍ وطريق، ولكن نحن طريقنا ونهجنا آل محمد عليهم السلام {وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ..} البقرة ١٤٨ {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } المائدة ٤٨ {وَلَوْ نَشَاءَ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ } يس ٦٦ .

والله تعالى هو العالم بحقائق الأمور وإليه المنتهى والعاقبة للمتقين ..

السؤال الثاني: ما وجه الفرق بين المفهوم التشكيكي والوحدة الشخصية..؟

والجواب: إنَّ الفرق الأساسي يكمن في طبيعة العلاقة بين الوحدة الشخصية وبين الكثرة التشكيكية هو أن المفهوم التشكيكي يرى أن الوحدة والكثرة ليستا مختلفتين بذاتهما، بل هما في الواقع أمرٌ واحدٌ يختلف تشكيكياً – أي متفاوت المراتب طولاً وعرضاً، أفقياً وعمودياً – في مظهره، بحيث يرجع الواحد إلى الكثير، والكثير إلى الواحد حقيقةً، وفي المقابل هناك الوحدة الشخصية التي تركز على الفرد ككيانٍ مستقلٍ له خصائص ومحدودية خاصة به، منفصلة عن الآخرين، وهو مفهوم يغيب عن التفكير التشكيكي، فالتشكيك هنا لا يعني نفي الوجود كما هو معروف عند علماء اللغة، بل هو بنظر علماء المنطق والفلسفة بمعنى الاختلاف في المراتب المادية في الوجود المادي الصرف.. فليكن هذا التفريق بين المعنى اللغوي والمنطقي واضحاً لديكم حتى لا تختلط المفاهيم ببعضها.

فالمفهوم التشكيكي: يعنى التشديد على وحدة الوجود، حيث يرى الفلاسفة أن كلَّ الاختلافات الظاهرية بين الموجودات هي اختلافات تشكيكية (أي متفاوتة) في حقيقة الوجود الأساسية وليست اختلافات جوهرية، ويرون أن الوحدة والكثرة هما وجهان لعملةٍ واحدة: فالكثرة ترجع إلى الوحدة حقيقةً، والواحد عين الكثير في حقيقته الأساسية، أي أن ما يميّز الكثرة هو نفسه ما يميّز الاشتراك وهو في الجهتين شيء سموه الوحدة .

تطبيق الفلاسفة للمفهوم التشكيكي على وحدة الوجود:

وفكرة المفهوم التشكيكي هي أساس مفهوم وحدة الوجود التي ترى وحدة الوجود هي الحقيقة، وتعتبر اختلاف المظاهر الوجودية ظاهرياً لا واقعياً، بينما الوحدة الشخصية هي التركيز على الفرد ككيانٍ مستقلٍ.. فهذا المفهوم – أي الوحدة الشخصية – يهتم بالفرد ككيانٍ، له ذاته الخاصة به، وله خصائصه المميّزة، وهو ما يجعله مختلفاً عن الآخرين ومحدوداً بذاته.

التأكيد على الاختلاف والتمييز:

مفهوم الوحدة الشخصية يؤكد على أن كلَّ شخص له هويته الخاصة التي تميزه عن غيره من الأفراد، وهو ما يخلق الكثرة والتمايز بين الأفراد.

والخلاصة: إن المفهوم التشكيكي: يعني أن الكثرة هي مظاهر للوحدة الحقيقية، وكلها ترجع إلى جوهر واحد؛ بينما الوحدة الشخصية: تعني التركيز على خصوصية كلِّ فرد، وكيف يختلف عن الآخرين، وكيف يشكّل كياناً مستقلاً بحدِّ ذاته .

والنقطة الأساسية التي حاموا حولها هي: هل أن مفهوم الوجود واحد أم متعدد؟ فأجابوا عليه بأنه واحد... ثم تسائلوا فقالوا: هل مفهوم الوجود يصدق على مصداقه بالتشكيك أو بالتواطى؟ فأجابوا بأنه تشكيكي وليس متواطئاً، والفرق بين المفهوم الكلي التشكيكي وبين المفهوم الكلي المتواطى (المتواطى والمشكك) بالتعريف التالي:

ينقسم الكلي إلى المتواطى والمشكك، لأنه:

أولاً: إذا لاحظت كلياً مثل الإنسان والحيوان والذهب والفضة وطبقته على أفرادها، فإنك لا تجد تفاوتاً بين الأفراد في نفس صدق المفهوم عليها فزيد وعمرو وخالد - إلى آخر أفراد الإنسان - من ناحية الانسانية سواء، من دون أن تكون إنسانية أحدهم أولى من إنسانية الآخر ولا أشد ولا أكثر، ولا أي تفاوت آخر في هذه الناحية، وإذا كانوا متفاوتين ففي نواح أخرى غير الإنسانية، كالتفاوت بالطول واللون والقوة والصحة والأخلاق وحسن التفكير، وما إلى ذلك، وكذا أفراد الحيوان والذهب ونحوهما، ومثل هذا الكلي المتوافقة أفرادها في مفهومه يسمى " الكلي المتواطى " أي المتوافقة أفرادها فيه؛ والتواطؤ: هو التوافق والتساوي.

ثانياً: إذا لاحظت كلياً مثل مفهوم البياض والعدد والوجود وطبقته على أفرادها، تجد - على العكس من النوع السابق - تفاوتاً بين الأفراد في صدق المفهوم عليها بالاشتداد أو الكثرة أو الأولوية أو التقدم، فنرى بياض الثلج أشد بياضاً من بياض القرطاس وكل منهما بياض، وعدد الألف أكثر من عدد المائة وكل منهما عدد، ووجود الخالق أولى من وجود المخلوق، ووجود العلة متقدم على وجود المعلول بنفس وجوده لا بشئ آخر، وكل منهما وجود.. وهكذا الكلي المتفاوتة أفرادها في صدق مفهومه عليها يسمى " الكلي المشكك " والتفاوت يسمى " تشكيكاً " .

والفلسفة يهتمها الوحدة الشخصية حيث يعتبرونها بديلاً عن الوحدة التشكيكية أو الكثرة التباينية، وهذا التباين يعبرون عنه بالوحدة الشخصية فلا اختلاف عندهم بأن الوجود وحدة متناسقة بالرغم من وجود تباين في مراتب الوجود وماهياته وتبايناته.. هذا تبسيط منا لما ادّعاه الفلاسفة في التفرقة بين الوحدة الشخصية وبين المفهوم التشكيكي...

تعريفهم للوحدة التشكيكية أو الوجود التشكيكي في مقابل الوجود الحقيقي أو الوحدة الحقيقية، نوافق عليه تسامحاً ظاهرياً ونخالفهم في الباطن والظاهر، أي نوافقهم ببعض التعريفات ولكننا نخالفهم في المنهج والتطبيق... يُرجى التأمل؛ وإليكم ما خالفناهم فيه:

إن المراد من الوحدة التشكيكية أو المفهوم التشكيكي هو: أن الوجود متفاوت بين الجواهر والأعراض ويعبر عنهما بالوجود التبايني بين الجواهر والأعراض، فماهية الإنسان وجوهره تختلف عن ماهية الحيوان والجماد والنبات والجن والملائكة... إلخ، فكلها وجودات متباينة ومختلفة فيما بينها، وهي مؤلفة من وحدات شخصية كزيد وعمرو.. وهذه

الوحدات الشخصية هي حقائق شخصية تشكّل حقيقةً تشكيكيةً متفاوتة.. والجوهر وإن كانت حقيقته واحدة وهي نوع الجوهر إلا أنه متفاوت بالقياس الى الأفراد المتباينين بالروح، وإن كانت الروح ذات حقيقة واحدة إلا أن الاختلاف فيها من حيث تباين الارواح بالتصرفات.. فواحد مؤمن وآخر فاسق وثالث كافر ورابع مشرك.. إلخ، فهم وإن كانوا بالجوهر واحد إلا أن التباين إنما هو بالأفعال والتصرفات العرضية...

والمراد بالوحدة الشخصية هو: كما أشرنا أعلاه، هم الأفراد المختلفون بطبائعهم ولكنهم مشتركون بجوهرهم النوعي كالבشر مختلفون بطبائعهم ولكنهم مشتركون بحقيقة نوعية تجمعهم تحت عنوان (الجوهر النوعي المؤلف من وحدات شخصية كزید وعمر و و و إلخ..).

فالواحد الشخصي يكثر ويتعدد فيؤلف واحداً نوعياً وإن اختلفوا بأعراضهم وسماتهم وصفاتهم.. وهذه الوحدات الشخصية مع الاختلاف بالأعراض تسمى بالوجود التشكيكي المتفاوت بين الجواهر والأعراض أو المتفاوت بين الجواهر فيما بينها.. فجوهر البشر يختلف عن جوهر الجن؛ وهما مختلفان عن جوهر الملائكة والأنبياء والأولياء عليهم السلام.. وأصل الاختلاف ليس في الجوهر بما هو جوهر، وإنما بما يلحق الجوهر من الأعراض الطارئة عليه...

وعندما يتحدث الفلاسفة عن الجوهر والعرض لا يقصدون الجوهر والعرض المنطقي فهما بنظرهم مفهومان ضيقان بل مرادهم بهما هو المعنى الفلسفي الواسع، فالتعريف المنطقي للجوهر هو القائم بذاته، والعرض هو القائم بغيره، وإن كنّا لا نميل إلى الفلسفة والمنطق الأرسطي لأجل ما فيهما من تعاريف تناهض الشرع المبين، فليس في الوجود شيء اسمه جوهر قائم بنفسه وإلا لأصبح إلهاً وأن الله تعالى فوق الجوهر والعرض لأنه هو الخالق لهما، فالله تعالى هو القائم بذاته، بينما الجوهر الفلسفي والمنطقي يعتبرونه قائماً بذاته، بل الصحيح أن القائم بذاته هو الله تعالى ولكنه ليس جوهرًا بالمعنى الذي يطلقه الفلاسفة على الماديات والميتافيزيقيات.. ولو سلّمنا بصحة إطلاق الجوهر على الأرواح فهو إطلاق تسامحي وشكلي وإلا فإن كلّ ما دون الله تعالى هو عرض بحسب تعريفنا للجوهر، ولكننا ننزل معهم بالتسمية، فيكون البدن وصفاته وسماته هو العرض المتقوّم بالجوهر.. فالروح وإن كانت جوهرًا بحسب تعريفهم إلا أنّها في الواقع عرضٌ بحاجة إلى من يهبها الحياة والوجود، وذلك لأن المعلول بحاجة إلى العلّة في البقاء كما احتاج - أي المعلول - إلى العلّة في إيجادها من العدم إلى الوجود.. فما دون الله تعالى كلّ من الأعراض.. بينما الفلاسفة لا يقرون بحسب الظاهر بعرضية الجوهر إلا من باب التسامح لوضوح عرضية الماديات المخلوقة حتى الأرواح ولكنهم لا ينصبون القرائن على مرادهم بالجوهر، فوقع المتأثر بهم بالتيه كتيه بني إسرائيل.. فسوّوا أحكاماً إغريقية جلبوها من فلاسفة اليونان وسحبوها إلى شريعتنا المحمدية العلوية الفاطمية.. وتفلسفوا على الشريعة وصاروا يؤولون كلّ آية وخبر على حسب أذواقهم ومشاربهم المهرطقة، فابتدعوا مفهوم الوحدة الشخصية والمفهوم التشكيكي، ووحدة الوجود والموجود،

والكثرة عين الوحدة، والوحدة عين الكثرة...!! فخلطوا الحابل بالنابل، فضاع المتأثرون بهم ونسوا الشريعة بسبب غفلتهم عن أسرارها ومعالمها وطرائق السير والسلوك فيها.. ولم تكن الشريعة يوماً ما ناقصةً حتى جاءنا الفلاسفة ليتمموها لنا وليبينوا لنا ما خفي على آل البيت عليهم السلام (حاشا آل محمد من الجهل والغفلة والنسيان) من مفاهيم فلسفيّة وأخرى صوفية.. كلّها بدع ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان...!!

وبعبارة أخرى: إن الفرق الأساسي بينهما يكمن في طبيعة العلاقة بين الوحدة والكثرة: فالمفهوم التشكيكي يرى أن الوحدة والكثرة ليستا مختلفتين بذاتهما، بل هما في الواقع أمر واحد يختلف تشكيكياً في مظاهره، بحيث يرجع الواحد إلى الكثير والكثير إلى الواحد حقيقةً. وفي المقابل نرى أن الوحدة الشخصية تركز على الفرد ككيان مستقل له خصائص ومحدودية خاصة به، منفصلة عن الآخرين، وهو مفهوم يغيب عن التفكير التشكيكي.

زبدة المخض: إن الفرق بين المفهوم التشكيكي والوحدة الشخصية هو أن المفهوم التشكيكي مؤلف من الوحدات الشخصية ولكنّها متفاوتة فيما بينها ذاتاً وعرضاً وبالتالي فكل المراتب الوجودية التشكيكية تشكل وحدة شخصية. تنبيه فيه إرشاد:

نعود لنقول لكلّ مولعٍ بالفلسفة: لا فائدة من هذه التعريفات الفلسفية حول المفهوم التشكيكي للوجود.. بل هي مجرد تعاريف أرسطية جوفاء لا يتعلق بها حكم شرعي أو عقائدي إلّا على نحو القول بأن الوحدة عين الكثرة، والكثرة عين الوحدة التي عبّروا عنها بوحدة الوجود والموجود، وأرادوا بها اتحاد الخالق والمخلوق، فالكثرة هي الموجودات، اتحدت بالوحدة الشخصية للذات الإلهية كما قال البسطامي الصوفي: "إن الله في كمي" والعياذ بالله تعالى أي إن الله تعالى ممتزج مع مخلوقاته فهو فيهم وهم فيه على نحو الاتحاد الحلوي.. فلا تشغلوا أنفسكم بهذه الهرطقات الفلسفية والصوفية التي ذمّتها أخبارنا الشريفة وقد أحصاها العلامة المحدث الجليل الحُرّ العاملي في كتابه النفيس (الإثنا عشرية في الردّ على الصوفية) فليراجع؛ وكلّ من أراد تفسيرها بغير ما قلناه لكم فإنه يكذب أو أنه لا يعرف حقيقة المقولة المشؤومة "الوحدة عين الكثرة..". وما نُسب إلى الفيلسوف ملا صدرا بأنه يؤمن بوحدة الوجود والموجود فقد تردد العلماء في تفسير عباراته حول الموضوع، فلم يدروا ما يريد.. ولو فرضنا أنه يميل إلى قول الصوفية بوحدة الوجود والموجود، وإن كان لا يعتقد بالوحدة الصوفية الاتحادية كما أشرنا إليه لاحقاً في القسم الثالث من أقسام الوحدة، ولو فرضنا جدلاً أنه مال قليلاً إلى الفلسفة المخضة، فيبدو أنّه قد تاب منها ومن تتبع أقوال الفلاسفة وخزعبلاتهم كما أشار إلى ذلك بنفسه بحسب ما نقل عنه المحقق لكتاب الأسفار ناقلاً عبارته التي تدل على توبته من أقوال الفلاسفة.. وقد ذكرنا في بحوثنا المتوفرة على الموقع الإلكتروني عدة بحوث حول وحدة الوجود والموجود منها تحت العنوان التالي: (وحدة

الوجود التي يقول يقول بها الصوفية على أقسام) فراجعوها لأهميتها من الناحية الفلسفية العاطلة الباطلة.. واستعرضنا هناك ما معنى الوحدة الشخصية وهي ما يلي: وحدة الوجود التي يقول بها الصوفية على أقسام:

(الأول): الوحدة اللفظية للموجود والوجود، بمعنى أن الوحدة مجرد إطلاق لفظي فقط، وهذه لا محذور فيها عقلاً أو نقلاً لكونها لقلقة لسان دون ان يُقصد منها معنى آخر...

(الثاني): الوحدة في عين الكثرة، أو وحدة الوجود وكثرة الموجود، بمعنى أن الله تعالى ذكره واحدٌ سارٍ في الكثرات التي هي صنعه وتديره.. فإذا كانوا يقصدون أنه تعالى متعددٌ بحقيقته في مخلوقاته فهو عين الكفر والزندقة، وإن كانوا يقصدون أنه واحدٌ في حقيقته لكنه داخلٌ بها لا كدخول شيء في شيء أي ليس دخول مماسة بل دخولاً علمياً إحاطياً.. هذا الاعتقاد لا يوجب الكفر والنجاسة...

(الثالث): الوحدة الواقعية الشخصية كأن يكون الله تعالى ذكره عين الكلّ، والكلّ عينه تعالى، بمعنى أن يكون هناك وحدةٌ بين الوجود الإلهي وبين الموجود الإمكان، فهما واحدٌ من حيث الحقيقة والماهية والعياذ بالله تعالى، فيكون الوجود حقيقة واحدة لها تطورات متعددة وإعتبارات مختلفة، فهو في الخالق خالقٌ، وفي المخلوق مخلوقٌ، كما أنه في السماء سماءٌ وفي الأرض أرضٌ.. وهذا ما أطلقوا عليه بالتوحيد الخاص بالعرفاء من الصوفية الشيعة والعمرية، ونسبه ملا صدرا إلى بعض الجهلة من الصوفية، ومن يحكى عنه هذا الاعتقاد أبو يزيد البسطامي القائل لعنه الله "ليس في جبتي سوى الله". والقائلون بهذا لا ريب أنهم كفارٌ ونجسون، والعقل لا يصدر منه هذا الكلام، ولا أنه يلتزم بوحدة الخالق ومخلوقاته مع إختلافهما بحسب الإعتبار والماهية والحقيقة، إذ ماهية الله تعالى غير ماهية المخلوق، وبالتالي كيف يحصل حينئذٍ الإتحاد والاندماج يا ترى؟! اللهم إلا على مبدأ التثليث عند النصارى وهو باطلٌ جملةً وتفصيلاً، وقد فندنا مقالاتهم الفاسدة الكاسدة بالدليل العقلي في كتابنا "الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية" فليراجع.

الإيراد على وحدة الوجود الصوفية: إن القائلين من الفرق المبتدعة بوحدة الوجود والموجود لا ريب في كفرهم لأنهم يعتقدون بأن الله تعالى يرى يوم القيامة وفي الدنيا ينزل على حمار في ليلة الجمعة مما يعني أنه يمازج مخلوقاته ويتجانس معها، واعتقادهم بذلك كاعتقاد اليهود والنصارى بتجسيم الله تعالى وممازجته مع مخلوقاته، وأما الصوفيون من الشيعة فإن كانوا يقصدون إتحاد الله تعالى بمخلوقاته على نحو السريان الوجودي في كلٍ منهما بحيث يضمحل أحدهما بالآخر فهو الكفر بعينه وتترتب على قائله أحكام النجاسة والفسق وإلا فلا..

وحسب تتبعنا لأصول عقائد الفرقة الصوفية فلا أرتاب ولا أتردد بتكفيرهم حتى قبل إعتقادهم بوحدة الوجود لكونهم يعتقدون بتقديم الجبت والطاغوت على سيد الخلق أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وإنكارهم للضروريات الدينية، وهم أنفسهم يكفروننا ويستبيحون أموالنا وأعراضنا ودماءنا كما هو معلوم في مناهجهم الدينية ومصادرهم الحديثية فلترجع.

مضافاً إلى أنَّ الصوفيّة فرقة أشعرية تأخذ بفقه المذاهب الأربعة وتدين بعقائدها والتي منها أنَّ الله تعالى يُرى يوم القيامة كرؤية البدر في تمامه، وكلّ من يعتقد بهذا لا ريب بكفره ونجاسته وعدم جواز أكل ذبيحته عدا عن طعامه الذي باشره بيده... ومن وافقهم من الشيعة في هذا المعتقد يعتبر منكراً للضرورة وجاعلاً الخالق العظيم جسماً كبقية الأجسام فتلحقه أحكامهم من النجاسة والكفر...

ووحدة الموجود تختلف بطبيعتها عن وحدة الوجود التي هي الله عزَّ وجلَّ، المتعالي عن الزمان والمكان ولوازم المادة، فوحدة الموجود - أي المخلوقات المتكثرة - هي وحدة نوعية مرتبطة بالله تعالى ذكره إرتباطاً روحياً لا مادياً، فعلى الرغم من تكثرها فهي واحدة من حيث الإمكان والفقر والحاجة والإرتباط بالعلة التي أوجدتها من أصل العدم، فهي ماهيات ممكنة منتسبة إلى الوجود الحقيقي الذي هو الوجود الرباني الذي أفاض عليها الحياة، فإن الإعتقاد بهذا لا يوجب الكفر، وإن كان الأولى عدم الدخول في هكذا بحوث لئلا يتشوش بالكم وخاطركم، فنصيحتي للمؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه: هي عدم الخوض بالأمور الفلسفية، فإنها مضرة وقد تخرجهم من الدين، فعليكم بمطالعة كتاب الإحتجاج للطبرسي وكتابي الفوائد البهية ففيهما ما يقوّي أرواحكم وعقولكم بالدين وشرعية سيّد المرسلين وحجج الله على الخلق أجمعين... إنتهى مقالنا المنشور منذ عام ٢٠١٠ هجري بتغيير طفيف.

وبناءً عليه: فإن الفقهاء الورعون وأمناء الشرع المبين، والمأمونون على معالم التوحيد في غيبة القائد الأوحد والإمام الأعظم ربّان الفرقة الناجية وليّ الله الأعظم الحجة القائم المهدي رُوح لتراب نعليه الفداء.. يقولون: إن سالك طريق التصوف والقائل بوحدة الوجود والموجود كافر زنديق، وذلك لأن هذا الإعتقاد الفاسد يتصادم مع شريعة النبي وآله الأطهار عليهم السلام، بينما لا يتصادم مع عامة الشرائع والأديان القائلين بجسمية الله تعالى وحلوله في مخلوقاته.. ومهما نمقها وزيّنها بعض علماء الشيعة المتأثرين بالفلسفة والمسلك الصوفي، فلا ينفع بل يضر العوام ويفسد عقائدهم مهما أقاموا على إثباتها الأدلة المزيّنة والمفبركة.. إذ حينئذ أين هو دور الرب من المربوب، وأين الخالق من المخلوق؟! وما معنى الشرائع والتكاليف، وما هو الثواب والعقاب، وما الجنة والنار، وما المؤمن والكافر، والشقي والسعيد..؟ إلى آخر ما هنالك من المحاذير واللوازم الفاسدة المترتبة على الإعتقاد بوحدة الوجود والموجود!! فالفلسفة الصوفية المذهبية إشتقت من الفلسفة الإغريقية المستعربة ومن كنائس وبيع اليهود والنصارى.. فهي كفر وفساد وضلال وبدعة!! ولو لم تكن إلّا رواية أبي هاشم الجعفري (رضي الله عنه وأرضاه) لكفى بها ذمّاً لأقوال الفلاسفة والمتصوفة.... واليكموها:

روى العلامة الأردبيلي في حديقة الشيعة: نقلاً عن السيد المرتضى ابن الداعي الحسيني الرازي، بإسناده عن الشيخ المفيد، عن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد، عن أبيه محمد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عبد

الله، عن محمد بن عبد الجبار، عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، أنه قال لأبي هاشم الجعفري: " يا أبا هاشم، سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم مظلمة متكدرية، السنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سُنَّة، المؤمن بينهم محقر، والفاسق بينهم موقر، أمراؤهم جاهلون جائرون، وعلمائهم في أبواب الظلمة [سائرون]، أغنيائهم يسرقون زاد الفقراء، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء، وكلُّ جاهلٍ عندهم خبير، وكلُّ محيلٍ عندهم فقير، لا يميزون بين المخلص والمرتاب، لا يعرفون الضأن من الذئب، علمائهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف، وأيم الله إنهم من أهل العدول والتحرف، يبالغون في حب مخالفينا، ويضلون شيعتنا ومواليينا، إن نالوا منصباً لم يشبعوا عن الرشاء، وإن خدوا عبدوا الله على الرياء، ألا إنهم قطاع طريق المؤمنين، والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم، وليصن دينه وإيمانه، ثم قال: يا أبا هاشم هذا ما حدثني أبي، عن آبائه جعفر بن محمد (عليهم السلام)، وهو من أسرارنا، فاكتمته إلا عن أهله " .

الصوفيون هم من أبرز مصاديق الفرقة البترية:

إنَّ رواية أبي هاشم الجعفري رضي الله عنه قد قصمت ظهور الفلاسفة والمتصوفة من العلماء المنتسبين إلى التشيع الحق مهما حاولوا الفرار منها أو التملص من دلالتها بتشكيكات سننوية وأخرى دلالية فلن يفلتوا من العقاب.. وبحسب استقرائي وجدت أن أغلب من مال إلى الفلسفة والتصوف لا مشكلة عنده مع المخالفين لأهل البيت عليهم السلام، فهم عنده مؤمنون موحدون يدخلون الجنة بغير حساب، بينما المؤمن الشيعي المخالف لهم ولخندق السقيفة هو عندهم من أهل النار وبئس القرار.. وهؤلاء هم الفرقة البترية التي حدثت عنها أخبارنا الشريفة، وهؤلاء يجمعون بيت الولاء لأهل البيت (صلى الله عليهم) وعدم البراءة من أعدائهم، أي لا يتبرؤون من أعداء أهل البيت عليهم السلام كما شرحنا ذلك في كتابنا القيم (الحقيقة الغراء في تفضيل الصديقة الكبرى زينب الحوراء على مريم العذراء عليهما السلام) فراجعون لأهميته.

هؤلاء البتريون هم ألد الأعداء لأهل البيت عليهم السلام ولسوف يخرجون لقتال إمامنا الحجة القائم عليه السلام ويبلغ عددهم في الكوفة فقط ستة عشر ألف بتر.. ويقولون له " إرجع يا ابن فاطمة لا حاجة لنا فيك فيجرد فيهم سيفه فلا يبقى واحداً منهم.. والرواية طويلة نقل منها المقطع التالي: [.. ويسير إلى الكوفة، فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البترية، شاكين في السلاح، قراء القرآن، فقهاء في الدين، قد قرحوا جباههم، وشمروا ثيابهم، وعمهم النفاق، وكلهم يقولون: يا بن فاطمة، إرجع لا حاجة لنا فيك، فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشية الاثنين من العصر إلى العشاء، فيقتلهم أسرع من جزر جزور، فلا يفوت منهم رجل، ولا يصاب من أصحابه أحد، دماؤهم قربان إلى الله، ثم يدخل الكوفة فيقتل مقاتليها حتى يرضى الله (عز وجل)...] رواها الطبري في دلائل الإمامة ص ٤٥٦ ح رقم

الحديث ٤٣٥ - ٣٩ / ومعجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للشيخ علي الكوراني ج ٣ ص ٣٠٧ نقلها من عدة مصادر شيعية منها: غيبة الطوسي عن الفضل بن شاذان وإثبات الهداة للحر العاملي وبشارة الإسلام .

فأهل الكوفة والنجف وغيرها من الأمصار في العراق هم بتريون صوفيون سيقاتلون الإمام الحجة القائم عليه السلام ويعينهم على ذلك البتريون في إيران واليمن وأهل الشام: (لبنان وسوريا وفلسطين والأردن) والنواصب في الحجاز وأفغانستان كما في رواية النعماني في كتابه الغيبة بسنده عن علي بن أحمد، عن عبيد الله بن موسى وأحمد بن علي الأعمى عن محمد بن علي الصيرفي عن محمد بن صدقة وابن أذينة العبدى ومحمد بن سنان جميعاً عن يعقوب السراج قال: [سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة عشر مدينة وطائفة يحارب القائم أهلها ويحاربونه أهل مكة، وأهل المدينة، وأهل الشام، وبنو أمية وأهل البصرة، وأهل دميستان، والأكراد، والاعراب، وضبة، وغنى، وباهلة، وأزد وأهل الري].

بيان للمجلسي رحمه الله قال: لعل "الدميستان" مصحف ديسان وهو بالكسر قرية بهراة ذكره الفيروزآبادي وقال: دوميس بالضم ناحية بأران". أقول: إن بأران لعلها "آران" وهي مقاطعة آران ويدخل كما في قائمة مدن إيران..

بيان العبد العاملي: سيخرج على الإمام المهدي عليه السلام كلُّ البترين المنتشرين في المناطق الشيعية والعمرية التي يقطنون فيها، فمن العراق: الكوفة والبصرة، ولفظة الكوفة أعم من منطقة الكوفة التي يتواجد فيها مسجد الكوفة والسهلة، بل تشمل عامة المناطق العراقية وتخصيص البصرة بالذكر لشدة النواصب من البترين والعمريين فيها، وسيخرج عليه من إيران مدينتان هما: (الري - أي طهران - ودميستان) ومن اليمن قبيلة أزد الكثيرة المنتشرة في اليمن والحجاز؛ وسيخرج عليه الأكراد برمتهم وأهل الشام وبنو أمية على وجه الخصوص.. وبقية القبائل المنتشرة في هذه البلدان التي سوف يسيطر عليها الإمام الحجة القائم عليه السلام، فهؤلاء كلهم سيقاتلونهم عليه السلام باعتبارهم من المعارضين المبغضين له ولآبائه الطاهرين عليهم السلام من جهة، ولأنه سيقم عليهم الحدود بما كانوا يصنعون من جهة أخرى.. لذا سيجمعون في الكوفة مع جيش السفيناني ضد الإمام المهدي عليه السلام ويقولون له بحسب رواية المجلسي في البحار ج ٥٢ ص ٣٧٨ "لقد خبرناكم واختبرناكم.." وهي التالي: (يقدم القائم عليه السلام حتى يأتي النجف فيخرج إليه من الكوفة جيش السفيناني وأصحابه، والناس معه، وذلك يوم الأربعاء، فيدعوهم ويناشدهم حقه ويخبرهم أنه مظلوم مقهور ويقول: من حاجني في الله فأنا أولى الناس بالله - إلى آخر ما تقدم من هذه - فيقولون: ارجع من حيث شئت لا حاجة لنا فيك، قد خبرناكم واختبرناكم فيتفرقون من غير قتال فإذا كان يوم الجمعة يعاود، فيجئ سهم فيصيب رجلاً من المسلمين فيقتله، فيقال: إن فلاناً قد قتل، فعند ذلك ينشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا نشرها انحطت عليه ملائكة بدر، فإذا زالت الشمس هبت الريح له فيحمل عليهم هو وأصحابه،

فيمنحهم الله أكتافهم ويولون، فيقتلهم حتى يدخلهم أبيات الكوفة، وينادي مناديه: ألا لا تتبعوا مولياً ولا تجهزوا على جريح، ويسير بهم كما سار عليّ عليه السلام يوم البصرة).

وكلا الفرقتين "البترية والنواصب" سيتأولون عليه كتاب الله تعالى كما جاء في رواية محمد بن أبي حمزة، عن بعض أصحابه، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (إن القائم عليه السلام يلقي في حربه ما لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يعبدون الحجارة المنقورة والخشبة المنحوتة، وإن القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه كتاب الله ويقاثلونه عليه).

إن قيل لنا: ما الحكمة من إقحامك الفرقة الصوفية ضمن الفرقة البترية المعروفة في مناوأتها للإمام المهدي القائم المنتظر عليه السلام..؟

قلنا له: إن الحكمة من الإقحام المذكور هو التشابه الكبير بين الفرقتين بالعقيدة الفاسدة والتي منها:

- ١ - الجمع بين التولي والتبري، وعدم الإعتقاد بالبراءة من أعداء آل محمد عليهم السلام.
- ٢ - العمل بأحكام العقل والقياس والإستحسان والمصالح المرسلّة..دون الرجوع إلى الوحي التشريعي الذي كان يتحلّى به رسول الله، والوحي التسديدي الذي تتحلّى به عترة النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله، فيعتقدون بتحليل الحرام وتحريم الحلال لمصالح دنيوية أو للتأليف بين الأئمة..وهو واضح في سيرة البترين والصوفيين من الشيعة في وقتنا الحاضر .

- ٣ - مساواتهم لأكابر الصوفية والبترية بالنبي وآله الأطهار عليهم السلام، فيعبرون عن الزعيم الروحي عندهم بالإنسان الكامل والولي الجامع ومن لا يبايعه فهو كافر، قياساً على رسول الله وآله الأطهار عليهم السلام..!
- ٣ - إعتقاد البترين بقيام بديلٍ عن الإمام القائم المهدي عليه السلام وبقية الحجج الأطهار عليهم السلام أي اعتقادهم بأن الإمامة أعم من أن تكون منصوباً عليها بالأخبار، فكل علويّ يقوم بالسيف لمحاربة السلاطين يعتبرونه إماماً مفترض الطاعة..وهكذا حال الفرقة الصوفية يعتقدون بكلّ ما ذكرناه في الفرقة البترية..النعل بالنعل والقذة بالقذة..!!

السؤال الثالث: هل يوجد في الأخبار مصطلح الإنسان الكامل..؟

وأما سؤالكم حول الإنسان الكامل وهو: هل في كلام المعصومين عليهم السلام هذا المصطلح، وما الفرق بينه وبين العبودية، وكذلك حديث الامام عليه السلام: أنا الأول والآخر..

الجواب: يزعم الصوفيون كإبن العربي وأمثاله بأن الإنسان الكامل هو من فنى في الذات الإلهية واندك فيها بحيث صار متجانساً مع الذات الإلهية وهذا ما يريدون منه بالوحدة الشخصية المنذكة في الذات الأحدية الصمدية..!!

لقد ورد هذا المصطلح "الإنسان الكامل" في كلمات المتقدمين والمتأخرين، كما ورد مضمونه في الأخبار الشريفة كالتعبير بكامل الإيمان وناقص الإيمان.. وكامل أو تام بالمعرفة وناقص منها.. وورد في الإنجيل الحديث عن ابن الإنسان ويراد منه الإمام المهدي عليه السلام حيث هو ابن الإنسان الكامل عنيت به أمير المؤمنين علياً عليه السلام كما أشرنا إليه في الجزء الثاني من كتابنا (الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية صفحة ٢٩٦ إلى صفحة ٢٩٩) بحث عقيدتنا في الإمام المهدي عليه السلام.. قال إنجيل متى/ الإصحاح ٢٤ مقطع ٣٧ إلى ٤٥: "...إسهرُوا إِذَا لَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ.. لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنَّه في ساعةٍ لا تظنون يَأْتِي ابن الإنسان..". واللام في كلمة (الإنسان) للعهد وهو هنا رسول الله أو أمير المؤمنين عليّ عليهما السلام وإبْنهما هو الإمام المهدي عليه السلام فهو المعهود عند الأنبياء بكونه مخلصاً للبشرية من الظلم والجور.. فتأمل.

وثمة فرق بين الإنسان الكامل وبين ما ورد التعبير عنه بالمؤمن الكامل والناقص ولكنه تعبير نسبي بالقياس إلى المعصومين الذين يمثلون قمة الإنسانية والكمال الروحي والعقلي والنفسي والبدني.. وأين هذا من المؤمن الصالح فهو وإن كان تقياً في أفعاله وأقواله لكنه لا يصدق عليه أنه كامل من كل الجهات والحيثيات التي لا بدَّ منها في ثقل الشخصية الإيمانية الكاملة القدوة المنحصرة بالمعصومين كالنبيّ وعترته الطاهرة عليهم السلام... فلم يرد في رواياتنا الشيعية وصف "الإنسان الكامل" على غير المعصوم، فاللقب يُستخدم في سياقات فلسفية وصوفية شيعية لوصف الإنسان الكامل نسبياً في الكمال الروحي والعلمي، فهو كمال نسبي بالقياس إلى النبي وأُمر المؤمنين عليّ وأهل بيتهما الطيبين الطاهرين عليهم السلام، بينما قد يتم إطلاق أوصاف قريبة مثل "العارف الكامل" أو ما يدل على كمال روحي أو علمي على شخصيات أخرى من غير المعصومين، إلا أن تعبير "الإنسان الكامل" يقتصر على العترة الطاهرة.

وبعبارة أخرى: إن التعبير بوصف "الإنسان الكامل" في الفكر الشيعي غير الصوفي: لا يطلق إلا على الإنسان الذي بلغ الكمال المطلق في كلّ جوانب الوجود، وهو ما ينطبق على المعصومين من البشر وهم النبي الأعظم وعترته الطاهرة عليهم السلام، ولقد استعاره الصوفيون العمريون - لا سيّما ابن العربي والبسطامي وتبعهم على ذلك المتصوفون من الشيعة وفلاسفتهم المتأثرين بفلسفة وتصوف ابن العربي وأمثاله - واستخدموه بالقطب عندهم قديماً وبالقائد حديثاً.. لا سيّما المطهري وغيره من المتأثرين بالفكر الصدراوي (ملا صدرا) المتأثر بدوره بالفكر العرابي (ابن العربي) !!.

فالفكر الشيعي يشير إلى أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) هو أول "الإنسان الكامل"، وأن عترته الطاهرة يمثلون استمراراً لهذا الكمال البشري، بل هم نفس النبي وروحه وقلبه وعينه.. بنص آية المباشرة ٦١ من سورة آل

عمران {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } وآية التطهير { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } الأحزاب ٣٣ .

وقد يطلق المصطلح المذكور (الإنسان الكامل) على أفراد غير معصومين تدل على أوصاف من الكمال الروحي أو العلمي، مثل "العارف الكامل" أو (العارف بالله) أو (العارف بهم عليهم السلام) وما شابه ذلك، وهو كمال نسبي ولا مطلقاً، لكن هذا لا يجعلهم من مصاديق "الإنسان الكامل" بالمعنى الشيعي الدقيق... فهذا المفهوم أي (الإنسان الكامل) خاص بالمعصومين من أهل البيت عليهم السلام صَلَّى الله عليهم أجمعين لأنهم التامون في كل شيء كما أشار إمامنا المعظم عليّ الهادي عليه السلام في الزيار الجامعة: (والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبة الله..). والتامون أي الكاملون (فبحقّهم الذي أوجبت لهم عليك، أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقّهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم إنك أرحم الراحمين) .

زبدة المخض: يراد من الإنسان الكامل هو العقل المعبر عنه بالعقل الكلي المتمثل بالنبيّ الأعظم وأمير المؤمنين عليّ وسيّدة نساء العالمين الصديقة الكبرى وألهما الطيبين الطاهرين المطهرين عليهم السلام وبقية الأفراد حتى الأنبياء مندرجون تحت العقل المحمدي الفاطمي العلوي وبقية أهل البيت عليهم السلام وهو المشار إليه في الأخبار المستفيضة عنهم صلوات ربي عليهم ولكن الفرق بين عقول الأنبياء وبقية البشر هو أن عقول الأنبياء كاملة بالقياس إلى أتباعهم من الرعية، ولكنها غير كاملة بالقياس إلى آل الله تعالى عنيت بهم النبيّ وآله الأطهار عليهم السلام، ويشهد لما قلنا النصوص المتواترة بمضامينها الدالة على أن الله تعالى جعل في آلّه الأطهار عقولاً كاملة لا يشوبها نقص ولو بنحو ذرة واحدة.. فالعقول متفاوتة بين الأنبياء زيادة وضعفاً ولكنهم - أي الأنبياء - على رتبة عالية من العقل والإدراك إلّا أنّ هذا المستوى من قوة الإدراك لا يصل إلى مستوى عقول آل الله تعالى.. ولا تكتمل عقول عامة البشر - سواء أكانوا معصومين أم غير معصومين - إلا بالسير والسلوك في ولاية الحجب الأطهار (صلوات ربي عليهم أجمعين) قال الله تعالى بحقهم (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) سورة سبأ ١٨ .

روى الكليني في الكافي ج ٨ ص ٣١٢ بسنده عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على الإمام أبي جعفر عليه السلام فقال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر (عليه السلام): بلغني أنك تفسّر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام بعلم تفسّره أم بجهل؟ قال: لا بعلم، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): فإن كنت تفسّره بعلم فأنت

أنت، وأنا أسألك؟ قال قتادة: سل قال: أخبرني عن قول الله عز وجل في سبأ: "وقدّرنا فيها السير سiro فيها ليالي وأياماً آمنين" فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتى يرجع إلى أهله، فقال أبو جعفر (عليه السلام): نشدتك الله يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة: اللهم نعم، فقال أبو جعفر (عليه السلام): ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسررت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلك وأهلك، وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلك وأهلك، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجل: "واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم" ولم يعن البيت فيقول: إليه، فنحن والله دعوة إبراهيم (عليه السلام) التي من هوانا قلبه فبُلت حجته وإلاً فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك، كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة، قال قتادة: لا جرم والله لا فسرقتها إلا هكذا، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خُوطِبَ به). فهمم الحجج عليهم السلام ولولا هم لساخت الأرض بأهلها.. كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة.

ومما يؤكد ما أشرنا أعلاه هو ما ورد في الأخبار الكثيرة بما مضمونه التالي: (ما صار الأنبياء أنبياءاً إلا بالإقرار بولايتهم عليهم السلام) و(أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء بالإعتقاد بولايتهم وعلو قدرهم عنده تعالى) لا يسعنا المجال لإستعراضها بسبب ضيق وقتنا وتشريدنا وعدم استقرارنا بسبب ما أصابنا خلال الحرب اللبنانية الأخيرة.. والحمد لله تعالى على بلائه...

العقل الجزئي والكلّي: فبمقدار السير العملي يكون العقل في تدرج كماله وتمامه، وكلما نقص من النهج السلوكي كلما نقص العقل عند صاحبه، من هنا جاء في الخبر عن الإمام الأعظم وليّ الله المعظم والآية العظمى أمير المؤمنين عليّ صلي الله عليه وآله قال: "من مزح مزحةً مجّ من عقله مجّة"؛ ومعنى "مجّ من عقله مجّة" يعني نقص من إدراكه مقدار مزحته الباطلة، إذ لا يخلو المزاح من سخرية في أغلب الأحيان، وكأنّ المازح يرمي بعقله ويقذف به في مطارح الضياع، ومج الماء من فيه رماه، فإذا ما كان المزاح يؤدي إلى نقصان العقل فكيف سيكون حال من يرتكب الجرائم والجرائم والخطايا والمآثم...!!

وعلى قدر الهمة الروحية يكون العمل، وبه توزن أعماله وأقواله، ولا يتم العمل إلّا بالعقل المنضوي تحت لواء العقل الكلّي المعلّم والمرشد والهادي، فهم الموازين كما جاء في تفسيرها بأنهم الحجج الطاهرين عليهم السلام، وإنما كني عنهم عليهم السّلام بالموازين لأن ميزان كلّ شيء هو المعيار الذي به يعرف قدر ذلك الشيء، فميزان يوم القيامة ما يوزن به قدر كلّ إنسان وقيّمته على حسب عقائده وأخلاقه وأعماله لتجزى كلّ نفس بما كسبت وما ذلك إلّا

الإنسان الكامل إذ به وباقتفاء آثاره وترك ما يسخطه والبعد عن ذلك تُعرف مقادير الناس وأثقال حسناتهم، فميزان كلّ أمة هو نبي تلك الأمة ووصي نبيها والشرعة التي أتى بها، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم.. فإكتمال العقل كما قلنا أعلاه لا يكون إلّا بكمال القوة العقلية التي تأمر بالطاعة وتنهى عن المعصية باقتفاء آثار آل الله تعالى والتسليم لهم والرضا بما شأؤوا ونهوا.. وإلا فلا عقل لمن عصاهم وتمرد على تعاليمهم ولم يسلم لهم ولا ينقاد إليهم.. وليس كلّ متدين كاملاً في عقله وذلك لأن البعض يصوم ويصلي ويتعبد إلّا أننا نراه سخيلاً في حركاته وأقواله ومسلكه.. فما هو السر يا ثري..؟ السر هو أنه اعتاد على الصوم والصلاة ولم يحصّلها بمعناها الكامل فرأى والديه يصومان ويصليان فقلدهما بحكم العادة ولكنه جاهل بمغزاها وماهيتها وأسرارها المقتبسة من مشكاة النبوة والولاية.. فشتان ما بين من يعبد الله على حرف وبين من يعبد عن معرفة، من هنا قال أمير المؤمنين عليّ صلوات ربي عليه وآله " أول الدين معرفته.. " . ولا يُعرف الله تعالى بشكلٍ عام إلّا بالعقل الجزئي بمعونة العقل الكلي المطهر.. وإليك تفاصيل مفهوم العقل الجزئي والكلي:

حجية العقل الجزئي:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : كن مع الحق حيث كان، وميز ما اشتبه عليك بعقلك، فإن حجة الله عليك ودیعة فيك وبركاته عندك.

قال الإمام عليّ (عليه السلام) : العقل رسول الحق.

وعنه (عليه السلام) : العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل.

قال الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم: يا هشام، إن الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وأما الباطنة فالعقول .

وعنه (عليه السلام) أيضاً: يا هشام: " إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة " .

روى أبو يعقوب البغدادي: قال ابن السكيت لأبي الحسن (عليه السلام) : تالله ما رأيت مثلك قط، فما الحجة على الخلق اليوم ؟ قال : فقال (عليه السلام) : العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدق، والكاذب على الله فيكذبه، قال: فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب.

دور العقل في حساب الأعمال:

قال الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : إن الله عز وجل يحاسب العباد على قدر ما آتاهم من العقول في دار

الدنيا.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) في ذكر بعض ما أنزل الله على موسى بن عمران (عليه السلام): فانخط عليه الوحي .. فقال له: أنا أؤاخذ عبادي على قدر ما أعطيتهم من العقل.

وعنه (عليه السلام): إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا.

وعنه (عليه السلام) قال: إني نظرت في كتاب لعليّ (عليه السلام)، فوجدت في الكتاب: إن قيمة كل امرئ وقدره معرفته، إن الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا.

دور العقل في جزاء الأعمال:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله ، فإنما يجازى بعقله

وعنه (صلى الله عليه وآله): إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصيام، فلا تباهاوا به حتى تنظروا كيف عقله.

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال : إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والزكاة والحج والعمرة والجهاد، وما يجزى يوم القيامة إلا بقدر عقله.

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: الجنة مائة درجة، تسعة وتسعون درجة لأهل العقل، ودرجة لسائر الناس الذين هم دونه.

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: تعبد رجل في صومعة، فمطرت السماء، فأعشبت الأرض، فرأى حماراً يرعى، فقال:

ربّ لو كان لك حمار لرعيته مع حماري، فبلغ ذلك نبياً من أنبياء بني إسرائيل، فأراد أن يدعو عليه، فأوحى الله إليه:

إنما أجازي العباد على قدر عقولهم.

وفي تحف العقول قال: أثني قوم بحضرته (صلى الله عليه وآله) على رجل حتى ذكروا جميع خصال الخير فقال رسول

الله (صلى الله عليه وآله): كيف عقل الرجل ؟ فقالوا : يا رسول الله، نخبك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير

تسألنا عن عقله ؟ ! فقال (صلى الله عليه وآله): إن الأحق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع

العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) - لما وصفوا عنده رجلاً بحسن عبادته - : انظروا إلى عقله فإنما يجزى العباد

يوم القيامة على قدر عقولهم.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): كان يرى موسى بن عمران (عليه السلام) رجلاً من بني إسرائيل يطول سجوده

ويطول سكوته، فلا يكاد يذهب إلى موضع إلا وهو معه، فبينما هو يوماً من الأيام في بعض حوائجه إذ مر على أرض

معشبة تزهو وتتمتر. قال: فتأوه الرجل، فقال له موسى: على ماذا تأوهت ؟ قال: تمنيت أن يكون لربي حماراً أرعاه

هاهنا، قال: فأكب موسى (عليه السلام) طويلاً ببصره على الأرض اغتماماً بما سمع منه . قال: فانخط عليه الوحي فقال له: ما الذي أكبرت من مقالة عبدي ؟ ! أنا وأخذ عبادي على قدر ما أعطيتهم من العقل.

روى سليمان الديلمي قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): فلان من عبادته ودينه وفضله كذا وكذا، فقال: كيف عقله ؟ قلت : لا أدري، فقال: إن الثواب على قدر العقل ، إن رجلاً من بني إسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر ظاهرة الماء ، وإن ملكاً من الملائكة مر به فقال : يا رب ، أرني ثواب عبدك هذا ، فأراه الله (تعالى) ذلك ، فاستقله الملك ، فأوحى الله (تعالى) إليه : أن اصحبه ، فأتاه الملك في صورة إنسي ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل عابد، بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتيتك لأعبد الله معك . فكان معه يومه ذلك ، فلما أصبح قال له الملك: إن مكانك لنزه، وما يصلح إلا للعبادة، فقال له العابد: إن لمكاننا هذا عيباً، فقال له: وما هو ؟ قال : ليس لربنا بهيمة، فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع، فإن هذا الحشيش يضيع، فقال له (ذلك) الملك: وما لربك حمار ؟ فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش. فأوحى الله إلى الملك : إنما أثيبه على قدر عقله.

ما يقوي العقل: عدة أمور تقوي العقل منها:

أ : الوحي

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً).

(الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).

(لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون).

قال الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام): بعث فيهم رسوله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول.

وعنه (عليه السلام) في صفة بعثة النبي (صلى الله عليه وآله): بعثه بالحق دالاً عليه وهادياً إليه، فهدانا به من الضلالة، واستنقذنا به من الجهالة.

وعنه (عليه السلام) قال: إن الله تبارك وتعالى شرع الاسلام وسهل شرائعه لمن ورده، وأعز أركانه لمن حاربه، وجعله عزا لمن تولاه وسلمنا لمن دخله.. وفهما لمن تفطن وبقينا لمن عقل.

وعنه (عليه السلام) قال: "... إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) لإنجاز عدته، وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض (الأرضين) يومئذ ملل متفرقة، وأهواء

منتشرة، وطرائق (طوائف) متشعبة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة.

ب : العلم: في العلم حياة العقول والأرواح والنفوس، قال الله تبارك ذكره: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن العلم حياة القلوب من الجهل، وضيء الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف.

قال الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام): إنك موزون بعقلك، فزكه بالعلم.

وعنه (عليه السلام) قال: أعون الأشياء على تزكية العقل التعليم.

عنه (عليه السلام) قال: العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب.

وعنه (عليه السلام) قال: العلم يزيد العاقل عقلاً.

أسباب تقوية العقل:

الإمام الصادق (عليه السلام) : كثرة النظر في الحكمة تلقح العقل.

وعنه (عليه السلام) قال : كثرة النظر في العلم يفتح العقل.

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال : من أبصر فهم ، ومن فهم عقل.

ج : الأدب

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حسن الأدب زينة العقل.

قال الإمام علي (عليه السلام): كل شئ يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى الأدب.

وعنه (عليه السلام) قال: إن بذوي العقول من الحاجة إلى الأدب كما يظلم الزرع إلى المطر.

- عنه (عليه السلام) قال: نعم قرين العقل الأدب.

- عنه (عليه السلام) قال: الأدب صورة العقل.

- عنه (عليه السلام) قال: صلاح العقل الأدب.

- عنه (عليه السلام) قال: الأدب هو لقاح العقل وذكاء القلب.

- عنه (عليه السلام) قال: لا عقل لمن لا أدب له.

- عنه (عليه السلام) قال: ذكي عقلك بالأدب كما تذكي النار بالخطب .

- الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال: آداب العلماء زيادة في العقل.

د : التجربة

قال الإمام عليّ (عليه السلام) : العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب .

- عنه (عليه السلام) قال في الحكم المنسوبة إليه : العقل غريزة تربيها التجارب .

- عنه (عليه السلام) قال : التجارب لا تنقضي ، والعقل منها في زيادة .

قال الإمام الحسين (عليه السلام) : طول التجارب زيادة في العقل .

ه : السير في الأرض :

(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) .

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير) .

(ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون) .

(فالיום ننجيكَ ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون) .

قال النبي داود (عليه السلام) : قل لصاحب العلم يتخذ عصاً من حديد ونعلين من حديد، ويطلب العلم حتى تنكسر العصا وتنخرق النعلان .

و : المشورة :

قال الإمام عليّ (عليه السلام) : من شاور ذوي العقول استضاء بأنوار العقول .

ز : التقوى :

قال السيد ابن طاووس : وجدت في كتاب . . . عليه مكتوب " سنن إدريس " وكان فيه : اعلّموا واستيقنوا أن تقوى الله هي الحكمة الكبرى، والنعمة العظمى، والسبب الداعي إلى الخير، والفتاح لأبواب الخير والفهم والعقل .

ح : مجاهدة النفس :

قال الإمام عليّ (عليه السلام) : جاهد شهوتك وغالب غضبك وخالف سوء عادتك، ترك نفسك ويكمل عقلك وتستكمل ثواب ربك .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أصحابه يعظه : أوصيك ونفسي بتقوى من لا تحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى إلا به، فإن من اتقى الله، جلَّ وعزَّ وقوي وشبع وروي ورفع عقله عن أهل الدنيا، فبدنه مع أهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الآخرة، فأطفأ بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حبِّ الدنيا فقدر حرامها، وجانب شبهاتها، وأضر الله بالحلال الصافي، إلا ما لا بد له من كسرة (منه) يشد بها صلبه، وثوب يوارى

به عورته من أغلظ ما يجد وأخشنه، ولم يكن له فيما لا بد له منه ثقة ولا رجاء، فوقعته ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء، فجد واجتهد وأتعب بدنه حتى بدت الأضلاع وغارت العينان، فأبدل الله له من ذلك قوة في بدنه وشدة في عقله، وما ذخّر له في الآخرة أكثر.

ط : ذكر الله تعالى :

قال الإمام علي (عليه السلام) : الذكر نور العقل وحياة النفوس وجلاء الصدور .

وعنه (عليه السلام) قال : من كثر ذكره استنار لبه .

وعنه (عليه السلام) قال : من ذكر الله سبحانه، أحيا الله قلبه ونور عقله ولبه .

وعنه (عليه السلام) قال : الذكر يؤنس اللب وينير القلب ويستنزل الرحمة .

وعنه (عليه السلام) قال : الذكر هداية العقول وتبصرة النفوس .

ي : الزهد في الدنيا :

قال الإمام علي (عليه السلام) : من سخت نفسه عن مواهب الدنيا فقد استكمل العقل .

ك : اتباع الحق :

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : وأما طاعة الناصح فيتشعب منها الزيادة في العقل وكمال اللب .

قال الإمام الكاظم (عليه السلام) : إن لقمان قال لابنه : تواضع للحق تكن أعقل الناس .

ل : مجالسة الحكماء :

قال الإمام علي (عليه السلام) : جالس الحكماء يكمل عقلك، وتشرف نفسك، وينتف عنك جهلك .

وعنه (عليه السلام) : مجالسة الحكماء حياة العقول وشفاء النفوس .

م : رحمة الجاهل :

قال الإمام علي (عليه السلام) : من أوكّد أسباب العقل رحمة الجاهل .

تنبيه : المراد بالجاهل هم القاصرون عن طلب العلم ولا يراد من الجاهل المقصرون عن طلب العلم والمعرفة بالأصول والفروع .. وقد شرحنا التفصيل بين الجاهل القصورى والتقصيرى في الجزء الأول من كتابنا الفوائد البهية باب عقيدتنا في التكليف ..

ن : الاستعانة بالله تعالى :

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) : اللهم ارزقني عقلاً كاملاً وعزماً ثاقباً ولباً راجحاً وقلباً ذكياً وعلماً كثيراً

وأدباً بارعاً، واجعل ذلك كله لي ولا تجعله عليّ برحمتك يا أرحم الراحمين .

وفي المناجاة التي جاء بها جبرئيل (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) : وامح اللهم رب بالتوبة ما ثبت من ذنوبي، واغسل بقبولها جميع عيوبي، واجعلها جالية لرين قلبي، شاحذة لبصيرة لي.

قال الإمام القائم المهدي (عليه السلام) - في دعاء علمه لمحمد بن علي العلوي المصري وهو دعاء طويل جاء فيه - : إلهي وأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تهدي لي قلبي وتجمع لي لي...".

والحاصل: إن العقل يقوّي الفطرة الروحية، بحيث يأمر صاحبه بالتعقل والفهم والتدبر والدراسة وبذلك تستقيم النفس الأمّارة وتهتد قليلاً حتى يأتي دور الشرع المبين المذهب للنفس الأمّارة متزقياً بها إلى النفس القدسية، فيكون العقل السليم بمثابة المنبّه للنفس الأمّارة من سِنّة الغفلة والبعد عن جناب المولى تبارك ذكره..

وبناءً على ذلك: تكون المرتكزات العقلية هي المنبهة للنفس الأمّارة بالسوء لتسلك به إلى سلوك الطريق الصحيح عبر التوجه إلى الله تعالى ومعالم قدسه.. وبالعقل السليم يكتسب المرء المعالي عند الله تعالى والحجج الأطهار عليهم السلام، وكلما نقص عقل المرء كلما تسافل إلى الحيوانية والمادية وتوابعهما من الرذيلة والفسق والفجور والإبتعاد عن ذكر الله تعالى وذكر الحجج الأطهار (صلوات ربي عليهم) المذكرين بالله والهادين إليه والدالين عليه، وكلّ عقل لا يأمر صاحبه بالإستقامة والرشد فهو عقل شيطان، وإلا فهو عقل رحمان، وهو ما يعبر عنه بالعقل الإدراكي، وتعريفه أنه قوة تُستعمل في نظام المعاش، فتارةً توافق الشرع وأخرى تخالفه، فإن كانت الأولى فحسنة، وإن كانت الثانية فمذمومة وهي المعبر عنها بالشيطنة الموجودة عند معاوية وأمثاله حيث ورد أن شخصاً سأل مولانا الإمام المعظم جعفر الصادق عليه السلام عن العقل ؟ فأجاب: ما عُبد به الرحمانُ واكتسب به الجنانُ، قال الراوي: فالذي كان في معاوية ؟ قال: تلك النكراء ! تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل).

وهو ما فصلناه في كتابنا المبارك (الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ج ١ في مبحث ماهية العقل وتقسيماته) ومن جملة ما قلناه في الفوائد البهية هو التالي:

العقل لغةً: بمعنى التمييز والإدراك والفهم ، وُسْمِي العقل عقلاً: لأنه يعقلُ صاحبه عن التورط في المهالك، وعَقَلَ الشيء يعقلُهُ عقلاً: فهمه.

والعقل اصطلاحاً: ما اصطُلح إطلاقُهُ على أمور:

الأول: قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما والتمكن من معرفة أسباب الأمور، والعقل بهذا المعنى مناط التكليف والعقاب.

الثاني: ملكة وحالة في النفس تدعو إلى اختيار الخيرات والمنافع واجتناب الشرور والمضار، أو ما يقال عنه أنه "نور روحاني تدركُ النفسُ به العلومُ الضرورية والنظرية".

الثالث: قوة تُستعمل في نظام المعاش، فتارةً توافق الشرع وأخرى تخالفه، فإن كانت الأولى فحسنة، وإن كانت الثانية فمذمومة وهي المعبر عنها بالشيطنة الموجودة عند معاوية وأمثاله حيث ورد أن شخصاً سأل مولانا الإمام الصادق عليه السلام عن العقل؟ فأجاب عليه السلام: ما عُبد به الرحمان واكتسب به الجنان، قال الراوي: فالذي كان في معاوية؟ قال تلك النكراء! تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل.

الرابع: هو مرتبة من مراتب استعداد النفس لتحصيل النظريات.

الخامس: النفس الناطقة الإنسانية التي بها يميز الآدمي عن سائر البهائم.

السادس: جوهر قديم لا تعلق له بالمادة ذاتاً أو فعلاً.

والأخير من أسخف الأقوال، وهو مردود جملةً وتفصيلاً وذلك لأنّ قدميته تستلزم تعدد القدماء وهو واضح البطلان، أضف إلى أنه يؤدي إلى إنكار قيام الضرورة عند المسلمين كافة على حدوث العالم وإمكانه ومنه العقل، فالقول بقدمه يستلزم المحذورين المتقدمين.

وأما بقية الأقوال في تفسير العقل ففيها إشارات في إخبارات العترة الطاهرة عليهم السّلام، وأصح تلك المعاني، المعنيان الأولان، وهما أكثر انطباقاً على الأخبار من غيرهما.

مراتب العقل العملي:

وهذه المعاني المتعددة في تفسير العقل تدخل في تقسيمات العقل النظري ومراتبه؛ وأما مراتب العقل العملي فتذكر عادةً في كتب الأخلاق والعرفان والسير والسلوك، وهي أربعة:

المرتبة الأولى: تهذيب الظاهر بإتيان الواجبات والاجتناب عن المنهيات، ولا يقتصر فيها على الواجب وحده بل يتعداه إلى المستحب والمكروه.

المرتبة الثانية: تطهير الباطن عن رذائل الأخلاق حتى تصير النفس كالمرآة مجلوة، من شأنها أن تتجلى فيها حقائق العلوم اليقينية.

المرتبة الثالثة: أن تُشاهد المعلومات جلّها أو بعضها حسب توجهها لمبدأ الفيض الإلهي .

المرتبة الرابعة: أن يفنى المؤمن السالك عن نفسه ويرى الأشياء كلّها صادرة عن الحق المتعال، وراجعةً إليه حيث يتخلق بأخلاق الله سبحانه وأخلاق الربانيين من الأولياء المقربين والأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، لأن كثرة عكوف النفوس المتألهة على باب الله تبارك وتعالى ومواظبتها على أفعالٍ تشبه أفعال الله تعالى من الشفقة والعطف والرحمة على خلق الباري عز وجل، ودعاء الخير على كلّ ذي روح تستحق الرحمة، والترفع عن الجسميات، والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر من الأئمة المعصومين عليهم السّلام، كلّ ذلك يعدّ تشبهاً بصفات الله تعالى وتخلقاً بأخلاقه

تبارك وتعالى كما ورد عن رسول الرحمة صلى الله عليه وآله: "تخلقوا بأخلاق الله" حتى يحصل للمتخلقين بكثرة التعلقات الروحانية والصفات الربوبية بتكرر المشاهدات مبدأً صوريّ في نفوسهم، وقوة عقلية مشرقة بنور الله هي مبدأ أنوار المعقولات، وذلك لأن كلّ جوهر، له في كينونته قوة واستعداد لحصول أشياء مختلفة، فبحسب كثرة الانفعالات تحصل الصور والمدرجات الجوهرية هي مبدأ تلك الكثرة، فإذا حصلت الانفعالات نحو النور القدسي، فلا بدّ أن تتلبس الذات بصورة نورانية وكذا العكس، ألا ترى أن كثرة مجاورة النار وتكرر التسخينات توجب للحطب وغيره صورة نارية تفعل فعلها، وكذا كثرة مجاورة الأرض يجعل الشيء تراباً صرفاً يفعل فعل التراب، وهكذا فلا عجب من نفسٍ حصل فيها إشراق لكثرة التشبهات بالمبادئ الإلهية والأفعال الربانية.. وهذه المرتبة هي آخر الدرجات في الفناء عن الذات، فهي مُنتهى المقصود وليس وراء عبادان قرية.

واعلم أن العقل خلق قبل البدن والأجسام، والمراد بالقبليّة هنا القبليّة الرتيبة، فالمعنى أن العقل مخلوق فوق البدن والأجسام وهو قائم فوقها وهو أقرب إلى المبدأ من البدن، وكلّ فيض يصل إلى البدن يصل إلى العقل أولاً ثم إلى البدن، وبالعقل قوامه وتدييره، وقد خلقه تعالى حين خلقه وأمره بالإقبال "كما ورد في الأخبار الصحاح" لقبول الإيجاد ثم أمره بالإدبار فنزل إلى الجسد ولم يكن تنزله بتخلية مكانه بل بظهور فعله وتدييره في البدن كما تنزل الشمس إلى المرأة، فكلما كان البدن أعْدَلْ وأصفى يحكي نوره أحسن وأضوء، وكلما كان منحرفاً عن الاعتدال كدراً ذا كثافة كلما كان الظهور أكثر اعوجاجاً وأشدّ فساداً إلى أن يبلغ انحرافه وكدورته مبلغاً لا يظهر عليه نور العقل تماماً كالنطفة في الرحم فلشدة رطوبتها ولزوجتها وعدم اعتدالها مما يحجب نور العقل عنها، وهكذا كلما صعدت النطفة بحسب استعدادها شيئاً فشيئاً فاعتدلت وتصفّت فإنه يظهر عليها آثار العقل رويداً رويداً، فيظهر فيها النمو أولاً ثم تترقى حتى تظهر فيها الحياة الإنسانية إلى أن يخرج إلى خارج الأرحام فيترقى بحيث تظهر فيه آثار النمو والترقي بواسطة الأفلاك وتربية أرباب العقول والألباب إلى ما شاء الله تعالى حتى يبلغ الحلم فظهر فيه العقل لذا ورد «ثلاثة مرفوع عنهم القلم: المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ والصبي حتى يحتلم»، وكلما تصقّى وكثُر اعتداله وصفاءه ونضجه قوى الظهور شيئاً فشيئاً إلى أن يبلغ خمساً وثلاثين كما في حديث عن مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السّلام: "يرفّ الصبي سبعاً ويؤدّب سبعاً ويستخدم سبعاً ومنتهى طوله في ثلاث وعشرين سنة، وعقله في خمس وثلاثين وما كان بعد ذلك فبالتجارب".

وبعض الناس من يكمل في سن الأربعين، فإذا بلغه كَمُلَ عقله وازداد كمالاً إلى أن يبلغ الخمسين أو الستين، وذلك باختلاف الأفراد، وإذا انحدر عن الستين وضُعِفَت البنية وعجزت الطبيعة عن تحليل الرطوبات، غلبت الرطوبات في رأسه وحجبت ظهور العقل فشرع في النقصان بحيث يبلغ مبلغاً لا يعلم بعد علم شيئاً فلا يميّز بين الأشياء ولا يعرف

الأوقات والأشخاص إلى أن يغلب عليه البرد فتتطفأ حرارته ويموت، وهذا الاختلاف في كل هذه الحالات في البدن، والعقل باقٍ على ما كان أول مرة فوق البدن لا يتفاوت كما إذا كانت الشمس ظاهرة ووضع تحتها جسمٌ كثيفٌ فصقلته إلى أن صار مرآة صافية ثم غلب عليها الصدا إلى أن حُجِبَت الشمس بالكلية ؛ فالشمس دائماً على حالها، وإنما حصل الاختلاف في المرآة المصدأة فلم تُعَد تحكي نور الشمس، فلأجل ذلك يزداد العقل بتعديل البدن بالآداب الشرعية وتصفيته بالرياضات والمجاهدات المأمور بها شرعاً إلى أن يصل إلى حالة كُتِبَتْ له بما لديه من قابليات، فمن ذلك يُعَلَّم أن العقل في مقامه على ما هو عليه، وإنما الاختلاف في الظهور والخفاء وكمال الظهور ونقصانه.

ويُعلم مما مرَّ أنَّ لكلِّ امرئٍ ما ظهر فيه من العقل الجزئي المقتبس من العقل الكلي الذي لا يختص بأحدٍ دون أحدٍ إلا بحسب سيره نحوه، والمقصود من العقل الكلي نبي الرحمة محمد بن عبد الله وعترته الطاهرة المطهرة، وسائر الناس لهم منهم عليهم السَّلام ما ظهر فيهم من الكمال الحمدي والعلوي والفاطمي، كما أنَّ النار الكلية في محلها، وما للشعلة المخصوصة منها ما ظهر فيها وما اشتعلت به؛ فكذلك عقلُ زيدٍ هو ما ظهر فيه من نور العقل وانصبغ فيه وتخصَّص به، وهو يتفاوت بحسب أعماله وأحواله.

ومن هنا قيل: إن العقل عبارة عن قوة يُعَرَّفُ بها الحق كما في قوله تعالى: [فبشِّرْ عبادِ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ] الزَّمر / ١٩.

حيث يستفاد من الآية المباركة أن العقل به يُهْتَدَى إلى الحق المطلق والإعراض عن العقل سفة نزهة الباري عز وجل أتباع دينه عنه بقوله تعالى [ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه] "البقرة / ١٣١" حيث عدَّ المولى عزَّ ذكره الإعراض عن ملة إبراهيم عليه السلام من حماقة النفس وعدم تمييزها ما ينفعها مما يضرها، ومن هذه الآية يستفاد معنى ما ورد في الحديث: " أن العقل ما عُبد به الرحمان، واكتسب به الجنان ".
شبهة عويصة وحلها:

قد يقول قائل: إذا كان بالعقل يُعَرَّفُ الحق، كفى - حينئذٍ - في الدعوة إليه سبحانه ما يدعو إليه العقل من سلوك طريق الفضيلة والتقوى من دون حاجة إلى إرسال رسلٍ وإنزال كتبٍ ؟! !

والجواب: إنَّ العقل الذي يدعو إلى الفضيلة والتقوى إنما هو العقل العملي دون النظري المدرك لحقائق الأشياء، والعقل العملي هذا يأخذ مقدمات حكمه من الإحساسات الباطنية الفطرية والعقل الكلي أي الحجج الأطهار عليهم السلام، والإحساسات التي هي بالفعل في الإنسان في بادئ حاله هي إحساسات القوى الشهوية والغضبية، وأمَّا القوة الناطقة القدسية فهي بالقوة، والتي بالفعل لا تدع الإنسان يخرج من القوة إلى الفعل كما هو مشهود من حال

الإنسان، فكلُّ قومٍ أو فردٍ فَقَدَ التربيةَ الصالحةَ عادَ عَمَّا قَلِيلٍ إلى التوحش والبربرية مع وجود العقل فيهم وحكم الفطرة عليهم، فلا غنى عن تأييد العقل بالنبوة والإمامة والولاية.

حجية العقل الكلي:

كلّ ما دلّ على حجية العقل الجزئي هو بنفسه دالٌّ على حجية العقل الكلي، ذلك لأن الأول تبعٌ للثاني وليس العكس.. هذا بالإضافة إلى الأخبار الدالة على الحجية المطلقة للنبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام بمقتضى سعة ولايتهم التكوينية والتشريعية، بل إن كلّ خبرٍ يشير إلى كونهم حججاً على خلقه هو بنفسه دالٌّ على الحجية الكلية على عامة العقول، فهم (صلوات الله وسلامه عليهم) المدبرون لعوالم التكوين والتشريع بإذن الله تعالى، فلولاهم ما عُرفَ الله، ولولاهم ما وَحَّدَ الله، ولولاهم ما عُبدَ الله، كما هو واضح في الأخبار المروية في الكافي وغيره من كتب الحديث.. فلتراجع.

السؤال الرابع: ما هو الفرق بين الإنسان الكامل وبين العبودية..؟

وأما الجواب على سؤالكم الكريم وما الفرق بين الإنسان الكامل وبين العبودية... وكذلك حديث الامام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: (أنا الأول وأنا الآخر..) فهو الآتي:

بما قدّمنا عن أهمية العقل النظري والعملي، وأهمية العقل الجزئي والكلي يتضح: بأن الإنسان الكامل هو صاحب العقل الكامل بالسير والسلوك والإنضواء تحت حكم العقل الكلي لكي يصل إلى مرحلة الرشد الواقعي الذي يجب أن نتصف به كمكّلفين يؤمنون بمعالم دين النبي وآله الأطهار عليهم السلام، فالعبودية تعني أن نعبد الله تعالى وننقاد إليه بما أمر ونهى ونعمل بما أمر ونترك ما نهى عنه عبر الحجج الأطهار عليهم السلام، ولن يصل إلى الإنسانية شبه الكاملة إلا المتقون العارفون من شيعة آل البيت الملتزمين بنهجهم ومعالم دينهم والمتبرئين من أعدائهم حتى لو كانوا من عشائريهم وأهلبيهم وذوي القرى عندهم.. فالعبودية لله تعالى من خلال عبادته بالتكاليف المشروعة والإنقياد للحجج الأطهار عليهم السلام حيث إننا عبيدٌ طاعة لهم، وطاعتهم طاعة لله تعالى، فساعتئذ نصل إلى مرحلة الإنسانية الكاملة وإلا فلا يتمناها كلّ شارد ووارد كتمني أهل الكتاب بل هي خاصة بأهل الورع والتقوى وأصحاب المعرفة بالعمق والتفصيلية والسير والسلوك نحو ولايتهم عليهم السلام والتبري من أعدائهم والمناصرين لأعدائهم من بترية هذا العصر..!! يعيشون الأماني بظنهم وأقيستهم وجنوحهم عن آل البيت عليهم السلام {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} النساء ١٢٣ {يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ} الحديد ١٤.

وعندما نعبّر عن الإنسان العارف بالحجج الأطهار عليهم السلام بأنه كاملٌ كما قال إمامنا المعظم أبو الحسن عليّ الهادي عليه السلام في آخر الزيارة الجامعة الكبيرة معلّماً لنا نهج السير والسلوك النظري والعملي (أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم) أي اجعلني من الكاملين في معرفتهم، وعرفان المؤمن بهم لا يعني بالضرورة العقلية أنه صار كالنبيّ والحجج الأطهار وبقية الأولياء العظام والأوصياء عليهم السلام.. كلا وألف كلا !! فإن ذلك من المستحيلات العقلية والشرعية بسبب أسبقية العصمة على أفعالهم مذ كانوا في بطون أمهاتهم كما هو مقرر في بحوث العصمة في كتبنا وبحوثنا العقائدية.. نعم المطلوب هو التشبه بهم بحيث نجعلهم قدوة لنا في أقوالهم وسلوكهم ومعاملاتهم.. إلخ .

إنّ الكاملية المطلقة هي خاصة بالنبيّ وآله فقط، وبقية الخلق كمالمهم نسبي بالقياس إليهم.. فلا يشتهه أحدٌ في الخلط بين كمالمهم عليهم السلام وكمال غيرهم.. وكيف يكون المؤمن العارف بهم مثّلهم وهو محتاجٌ إليهم في كلّ شيء، فهم (صلوات ربي عليهم) الذين أخرجوه من ظلمات الجهل إلى نور العلم والإيمان.. بل حتى الأنبياء عليهم السلام احتاجوا إليهم وانقادوا كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام (كنت مع رسول الله ظاهراً ومع الأنبياء باطناً) والنصوص على إثبات ذلك فاقت التواتر بمرات.. بينما النبيّ وأهل بيته (صلوات ربي عليهم) لم يحتاجوا إلى أحدٍ على الإطلاق لما حباهم الله تعالى به من فضائل ومكرمات وولاية كليّة بسبب علمه بما سيكونون عليه من العبودية له والعروج بعقولهم وأرواحهم وأبدانهم إلى الله تعالى مبدأ الفيض وخالقه.. فيرجى التأمل.

وعبوديتهم لله تعالى وصفاء نواياهم وأذهانهم وقلوبهم هي التي أوصلتهم إلى المقامات السامية العالية والخصائص الرفيعة، وهذا ما فسّرتّه إحدى الروايات من (أن العبودية جوهره كنهها الربوبية) أي في باطن العبودية لله تعالى شيء اسمه الربوبية أي السيادة والحاكمة والمديرية والمرآتية عن الله تعالى، إذ لما كانت العبودية تنتهي إلى درجة تحصل معها حكم الربوبية كما في الحديث القدسي: "عبدني أطعني حتى أجعلك مثلي، إذا قلت للشئ كن فيكون". ولهذا ترى الأنبياء والأولياء والحجج سيّما أشرفهم وسيّدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه عليهم السلام لما أطاعوا الله عز وجل أطاعهم كلّ شئ حتى البهائم والحيوانات لأن الله عزّفها قدر أنبيائه وأوليائه العظام عليهم السلام، فهي عارفة بمنابحهم ومصائبهم وشؤوناتهم، وإذا عرضت حاجة لهم تتوسل بهم إلى الله تعالى فتمتثل أوامرهم صلوات الله عليهم، وعن الحارث الهمداني قال: كنا مع أمير المؤمنين بالكناسة إذ أقبل أسد يهوى من البرية فتضعضنا له وانتهى إلى أمير المؤمنين فطرح نفسه بين يديه خاضعاً ذليلاً، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ارجع ولا تدخلن دار هجري وبليغ عني ذلك جميع السباع، فإذا عصوا الله فيّ وخلعوا طاعتي فقد حكمت فيهم، قال الحارث: فلم تزل جميع السباع

تتجافى عن الكوفة وحواليها إلى أن قُبِضَ عليّ (عليه السلام) وتقلدها زياد بن أبيه لعنه الله، فلما دخلها سلطت السباع على الكوفة وحواليها حتى أفنت أكثر الناس".

وبعبارة أخرى: ولا شك أن العبد إذا التزم بوظائف العبودية لله عز وجل وأطاع الله حقَّ الطاعة، تحصل له مرتبة عظيمة، ومنزلة كريمة مما لا يصفه الواصفون، ولا يحصي غايتها القائلون، وهو مقام الربوبية بمعنى أنه يفعل ما شاء وكيف يشاء وحيثما شاء ولكن بإذن الله وإرادته التي يعلم العبد بها ، وإلى هذا أشار بقوله (عبدني أطعني حتى أجعلك مثلي أو مثلي: أنا حي لا أموت أجعلك حياً لا تموت، أنا غني لا افتقر أجعلك غنياً لا تفتقر، أنا مهما أشاء يكون أجعلك مهما تشاء يكون) مثلي بكسر الميم يعني شبيهي في الصفات الفعلية، ومثلي بفتح الميم أي ظلي) والمثال عليه بالتالي: إن الحديد المحماة بالنار تتشبه بالنار لمجاورتها، ويفعل فعلها فلا تعجب من نفس استشرقت واستنارت واستضاءت بنور الله فأطاعها الأكوان والأزمان والليل والنهار، والشمس والقمر، والأرض والسماء، والانسان والحيوان، والملائكة والجان يتصرف فيها بما يشاء ويأمر فيها بما يشاء وهي تطيعه في أوامره.. ومما لا ريب فيه أن المؤمن التقى قد يحصل على شيء يسير من هذه الولاية إذا ما اتصف بصفات الله وتخلّق بأخلاق آل البيت والنبين عليهم السلام، فيظهر له ما كان مخفياً، ويطيعه كلُّ شيء كما في الحديث القدسي الآخر "عبدني أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون" وقوله عليه السلام "ومن أحبَّ الله أحبَّه كلُّ شيء". وقوله عزَّ وجلَّ في القدسي "وما يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحبَّته كنتُ عينه التي ينظر بها ويده التي يطيش بها..". ومثله الحديث القدسي الآخر: "إن لله عبداً أطاعوه فيما أَرَادَ، فأطاعهم فيما أَرَادُوا، يقولون للشيء كن فيكون"، فمن سار إلى الله تعالى بقدَم العبودية وصل إلى عزِّ الربوبية أي يصير عزيزاً بالله تعالى وقوياً به {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} الأنفال ١٧ .

وبتعبير آخر لنا في بحوث أخرى: [إنَّ العبد إذا تحقَّق بحقيقة الحق وتخلَّق بأخلاق الروحانيين غلبت عليه صفات الأرواح المجردة وصار له سلطنة على العوالم المادية يتصرف فيها كيف شاء بمشيئته تعالى.. فكما أنَّه جلَّ شأنه يوجد المادة من غير مدة ولا مواد ولا قوة ولا إعداد واستعداد فكذلك وليَّه، فالوجودات المجردة أو العقول الفعَّالة والمدبَّرات أمراً - كما في لسان الشرع المقدس - تمر على الزمان ولا يمرُّ الزمان عليها وتحكم على المادة ولا تحكم المادة عليها، والمادة التي تعلقَتْ بها كأجسامها العنصرية الشريفة مقهورة لروحها المجردة ويجري عليها حكم التجرد فلا يعوقها عن الاتصال بالملا الأعلى - فضلاً عن الأدنى - عائق].

فإذا أحبَّ العبدُ ربَّه فعمل بما أمر وانتهى عما نهى، أحبَّه كلُّ شيء في عالم الطبيعة عدا الأعداء من الإنس والجنِّ والشیاطين، وعلامة محبتها له أنها دائمة الارتباط به لقربه من المبدأ الفياض .

السؤال الخامس: ما معنى قول الإمام الأعظم أمير المؤمنين عليّ صلي الله عليه وآله (أنا الأول وأنا الآخر) ؟

وأما حديث الامام عليه السلام: " أنا الأول وأنا الآخر.." فلم أفهم سؤالكم حول هذا الحديث.. فهل تقصدون السؤال عن وجه الربط بين الإنسان الكامل وبين الإمام أمير المؤمنين عليّ صلوات ربي عليه وآله أو تقصدون الربط بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين العبودية لله تعالى..؟ وعلى كلا الجهتين فإن الإمام الأعظم والوليّ الأكبر مولانا أمير المؤمنين عليّ صلي الله عليه وآله هو سيّد العابدين والعارفين والموحدين وبالتالي فهو الإنسان الكامل بكلّ معنى الحقيقة، فثمة ربط بين هذا الإنسان الكامل الذي هو أمير المؤمنين عليّ (صلي الله عليه وآله) وبين عبادة كلّ موحّد سواء أكان نبياً أو وصياً أو وليّاً أو عبداً صالحاً.. فكونه الأول والآخر يعني أنه الأول في المعرفة والعبودية وهو الآخر فيهما، أو أنه أول خلق الله وآخر الخلق كما أشارت الأخبار الشريفة الدالة على أنه كان مع رسول الله أول خلق الله تعالى نوراً واحداً فقسّم الله تعالى ذلك النور إلى نصفين.. وبهما وآلهما فتح الله وبهم سيختم كما أشارت الزيارة الجامعة الكبيرة (وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار وحجج الجبار بكم فتح الله وبكم يختم الله وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه وبكم ينفس الهم ويكشف الضر وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته..). وقد كانوا أنواراً حول العرش قبل أن يخلق الله تعالى الملائكة وأرواح الأنبياء والأوصياء وغيرهم يسبحون لله ويحمدونه ويعظمونه.. فهم أول الخلق وآخر ما يدخره الله تعالى بعد إماتته للخلق فلا يفنون وهو ما دلت عليه الآية المباركة {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} غافر ١٦. فلا يخاطب الله نفسه بل يخاطب آله الأطهار بعد أن يفنى عزرائيل وإسرافيل وميكائيل وجبرائيل، ويبقى النبي وآله ومعهم الأنبياء والرسل - كما جاء في الأخبار المفسرة للآية "لمن الملك اليوم.." - فيخاطبهم يا أوليائي: لمن الملك اليوم؟ فيجيبونه: لله وهو أنت يا ربنا.. ولكن هناك أخباراً دلت على فناء كلّ شيء ولا يبقى إلّا النبي وآله فهم الذين يخاطبونه بالقول (الله الواحد القهار) كما في تفسير الآيتين المباركتين: (كلُّ من عليها فإنّ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقال عز وجل: (كلّ شيء هالك إلّا وجهه) فهم الوجه والسمت والجهة الدالة على الله تعالى وإليه يشير دعاء الندبة الذي رواه السفير الثاني محمد بن عثمان عن الإمام القائم عليه السلام: (..أين باب الله الذي منه يؤتى، أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء..).

ولا يذهبن أحدٌ منكم إلى القدمية الأزلية الظاهرة في قوله عليه السلام (أنا الأول وأنا الآخر) فإنها خاصة بالله تعالى ولا يقصدها أمير المؤمنين عليّ صلوات ربي عليه وآله بل قصده المعنى الثاني في القدمية المضافة إليه من حيثية كونه الأول في الخلقة والختام بها عند آخر رجعة له قبل قيام الساعة بأربعين يوماً.. بل المراد من الأول والآخر هو من أضيف

إلى الذات الأحدية بنحو التعلق بالصفات الفعلية فلا يكون قديماً أزلياً لضرورة حكم العقل بإستحالة وجود إله آخر غير الله تبارك وتعالى..

قال العلامة المجلسي في كتابه (ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار ج ٩ ص ٢٧٢ "بكم فتح الله" أي: في الوجود، أو الخلافة، أو جميع الخيرات. والباء تحتمل السببية والصلة . وبكم يختم" أي: دولتكم آخر الدول، والدولة في الآخرة أيضاً لكم " إنتهى.

ومن معانيها أيضاً: أن النبي هو الفاتح الأول، وآل النبي هم مظهره الأقدس، فللنبي وأمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين فاطمة البتول عليهم السلام خصوصية الفتح، وآله هم معاونون وهذه الخصوصية هي كونه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء وبه وبأمر المؤمنين وسيدة نساء العالمين وأولادهما الطاهرين هم الفاتحون، بينما للإمام المهدي عليه السلام خصوصية أخرى وهي كونه خاتم الأوصياء، فكما أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فاتح الدين، فالإمام المهدي (عليه السلام) خاتمه، وقد دلت على هذا الأمر روايات العامة والخاصة عنهم عليهم السلام: "المهدي منا، يختم الدين بنا كما فتح بنا " وبكم فتح الله وبكم يختم" ولهذا وذاك، ظهرت في الإمام المعظم المهدي عليه السلام الخصوصيات الجسمية والروحية والإسمية المطابقة لرسول الله وبالتالي هو شبيه جدّه رسول الله خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أثبتناه في كتابنا الجديد حول مولانا المعظمة نرجس عليها السلام أم إمامنا المعظم القائم عليه السلام، وقلنا هناك أن شمائله وأوصافه كشمائل وأوصاف جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

إن إفتتاح الدين بالنبي الأعظم محمد أبي القاسم، واختتامه بخاتم الوصيين محمد أبي القاسم المهدي وشبهاهته لجدّه بالإسم والكنى والصورة والشمائل والسيرة.. تعني الكثير من المعاني العالية والدرجات الرفيعة التي يتحلى بها خاتم الوصيين أبي القاسم المهدي المحمدي العلوي الفاطمي الحسيني الحسيني.. وهذه الوحدة المحمدية العلوية الفاطمية المهديّة هي الأول والآخر كما قال مولانا المعظم المهدي عليه السلام في زيارة آل ياسين المطهرة: (وأشهد أنّك حُجَّةُ الله، أنتم الأول والآخر وأن رجعتكم حقٌّ لا ريب فيها..). ما أعظم آل الله تعالى فهم أكمل الخلق وأحب الخلق إلى الله تعالى كما قال إمامنا الحجة القائم رُوحِي لِتَرَابِ نَعْلِيهِ الْفَدَاءِ (أَشْهَدُكَ يَا مُوَلَايَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لَا حَبِيبَ إِلَّا هُوَ وَأَهْلَهُ) أي لا حبيب عند الله بالتمام والكمال إلا للنبي ولآله..

من هنا آتاهم من الخصائص والمناقب والمقامات الباهرات ما لم يؤت أحداً من العالمين كما في الزيارة الجامعة الكبيرة: (آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، طأطأ كلُّ شريف لشرفكم، وبجع كلُّ متكبر لطاعتكم، وخضع كلُّ جبار لفضلكم، وذل كلُّ شئ لكم، وأشرقت الأرض بنوركم وفاز الفائزون بولايتكم، بكم يُسَلَّكُ إلى الرضوان، وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمان..).

فقد خلقهم الله تعالى لنفسه، وخلق العباد ليعرفوه من خلاصهم عليهم السلام {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} طه {أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} طه ٤١ - ٤٢، فإذا ما كان الله تعالى خلق موسى لنفسه فما بالكم برسوله محمد وآله الأنوار المقدسين عليهم السلام حيث إنهم أفضل من النبي موسى وغيره من الرسل بما لا يمكن إحصاؤه ولا سبر أغواره.. ولأجل ذلك يتضح ما ورد في نهج البلاغة من قول أمير المؤمنين علي عليه السلام في احتجاجه على معاوية في جواب كتاب كتبه إليه وهو من أحسن الحجاج وأصوبه: (أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر اصطفاء الله تعالى محمداً لدينه وتأييده إياه بمن أیده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا.. إلى أن قال: (فإننا صنائع ربنا والخلق بعد صنائع لنا) قال المجلسي في البحار: "قال العلامة المجلسي قوله عليه السلام: (فإننا صنائع ربنا..) هذا كلام مشتمل على أسرار عجيبة من غرائب شأنهم التي تعجز عنها العقول، ولنتكلم على ما يمكننا إظهاره والخوض فيه فنقول: صنعة الملك من يصطنعه ويرفع قدره، ومنه قوله تعالى: (واصطنعتك لنفسي) أي اخترتك وأخذتك صنيعتي لكي تكون أفعالك وأقوالك صادرة عن إرادتي ومحبيتي . فالمعنى أنه ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى أنعم علينا فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا فنحن الوسائط بينهم وبين الله سبحانه، ويحتمل أن يريد الناس بعضهم، أي المختار من الناس نصطنعه ونرفع قدره " .

وقال ابن ميثم البحراني في شرح النهج ج ٤ ص ٤٤٠ في شرحه لقوله الشريف "إننا صنائع ربنا..": (هذا تنبيه من وجه آخر على أفضليتهم من جهة اختصاص الله سبحانه إليهم بالنعمة الجزيلة، وهي نعمة الرسالة وما يستلزمه من الشرف والفضل حتى كان الناس عيالاً لهم فيها، إذ كانت تلك النعمة ولوازمها إنما وصلت إلى الناس بواسطة منهم، وأكرم بها فضيلة وشرفاً على سائر الخلق، وهذا التشبيه في قوة الصغرى من الشكل الأول في معرض الافتخار والاحتجاج على أنه لا ينبغي لأحد أن يعارضهم في شرف أو يفاخرهم وينافسهم في فضيلة، وتقدير الكبرى: وكل من كان بصفة أنه صنعة ربه بلا واسطة والناس بعده صنائع له وبواسطته فلا ينبغي لأحد من الناس أن يعارضه في فضل أو يجاريه في شرف..). انتهى .

الحديث الشريف يشير إلى أن لآل الله تعالى فضل على الخلق أجمعين سواء أكانوا أنبياء ومرسلين أم كانوا من الملائكة المقربين، فأنعموا عليهم بالتربية والهداية، فالعباد كلهم عبيد عندهم وهم عبيد الله تعالى.. ومن كان عبداً لهم فهو عبد لله تبارك اسمه.. من هنا خصص الحديث الشريف "الصنائع" بالهداية والتربية ولم يعمم بالخالقية وإن كانت الخالقية لهم بأمر من الله تعالى من المسلّمات بنظرنا..

عود على بدء: أشرنا سابقاً إلى عدة معانٍ في شرح قوله الشريف: (أنا الأول وأنا الآخر) وثمة تفسيران آخران لا بُدَّ من ذكرهما أحدهما ظاهري يتحملة العباد، وثانيهما صعب مستصعب لا يحتمله إلا الخواص وهما الآتيان:

المعنى الأول الظاهري: وفيه يفسر إمامنا أمير المؤمنين عليّ صلّى الله عليه وآله ثم حفيده إمامنا الباقر عليه السلام معنى الأول والآخر والظاهر والباطن وأنا داحيها ومرسيها.. كباقي الألفاظ الصعبة العسيرة - على عقول عامة الناس - الواردة في خطبة التطنّجية والبيان.. قال صاحب كتاب المناقب: ومن كلامه عليه السلام: "أنا دحوت أرضها وأنشأت جبالها وفجرت عيونها وشققت أنهارها وغرست أشجارها وأطعمت ثمارها وأنشأت سحابها وأسمعت رعداها ونورت برقها وأضحيت شمسها وأطلعت قمرها وأنزلت قطرها ونصبت نجومها وأنا البحر القمقام الزاخر وسكنت أطوادها وأنشأت جوارى الفلك فيها وأشرقتم شمسها وأنا جنب الله وكلمته وقلب الله وبابه الذي يؤتى منه ادخلوا الباب سجداً أغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين وبى وعلى يدي تقوم الساعة وفيّ يرتاب المبطلون وأنا الأول والآخر والظاهر والباطن وأنا بكل شئ عليم..". هذه الخطبة في بعض فقراتها زلزلت أقداماً وأرجفت قلوباً ضعيفة في تحمل الأسرار.. من هنا اضطر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أن يفسرها بتفسير ظاهري لكي يتحملها الأغيار وإلا فهو فوق ظواهر الألفاظ التي يأنس بها القشريون!!! وهكذا فعل حفيده الإمام الباقر عليه السلام موضحاً ما قاله جدّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مليناً الظواهر اللفظية الثقيلة على نفوس البعيدين عن الواقعيات والأسرار الإلهية..!!

وهاكم ما رواه لنا المحدثون الأجلاء كصاحب المناقب وأمثاله من روايات تشير إلى المعنيين "الظاهري والباطني" خفيت على أعلام كبار سبقونا فجمدوا على القشور ولم يسبروا بحر أسرار الغيوب..!!

١ - قال ابن شهر آشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٠٥: شرح ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام: "أنا دحوت أرضها يقول أنا وذريتي الأرض التي يسكن إليها وأما أنا أرسيت جبالها يعني الأئمة ذريتي هم الجبال الرواكد التي لا تقوم إلا بهم وفجرت عيونها يعني العلم الذي ثبت في قلبه وجرى على لسانه وشققت أنهارها يعني منه انشعب الذي من تمسك بها نجى وأنا غرست أشجارها يعني الذرية الطيبة وأطعمت أثمارها يعني أعمالهم الزكية وأنا أنشأت سحابها يعني ظل من استظل ببنائها وأنا أنزلت قطرها يعني حياة ورحمة وأنا أسمعت رعداها يعني لما يسمع من الحكمة ونورت برقها يعني بنا استنارت البلاد وأضحيت شمسها يعني القائم منا نور على نور ساطع واطلعت قمرها يعني المهدي من ذريتي وأنا نصبت نجومها يهتدي بنا ويستضاء بنورنا وأنا البحر القمقام الزاخر يعني أنا إمام الأمة وعالم العلماء وحكم الحكماء وقائد القادة يفيض علمي ثم يعود إلى كما أن البحر يفيض ماءه على ظهر الأرض ثم يعود إليه بإذن الله وأنا أنشأت جوارى الفلك فيها يقول اعلام الخير وأئمة الهدى مني وسكنت أطوادها يقول فقأت عين الفتنة واقتل أصول الضلالة وأنا جنب الله وكلمته وأنا قلب الله يعني أنا سراج علم الله وأنا باب الله

من توجه بي إلى الله غفر له وقوله بي وعلى يدي تقوم الساعة يعني الرجعة قبل القيمة ينصر الله في ذريتي المؤمنين وإلى المقام المشهود (انتهى) .

٢ - وروى الشيخ المفيد في الإختصاص ص ١٦٣ باب محنة أمير المؤمنين عليه عليه السلام: أن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه كان قاعداً " في المسجد وعنده جماعة، فقالوا له: حدثنا يا أمير المؤمنين، فقال لهم: ويحكم إن كلامي صعب مستصعب، لا يعقله إلا العالمون، قالوا: لا بد من أن تحدثنا، قال: قوموا بنا فدخل الدار، فقال: أنا الذي علوت فقهرت، أنا الذي أحيي وأميت، أنا الأول والآخر والظاهر والباطن، فغضبوا وقالوا: كفر وقاموا، فقال عليّ صلوات الله عليه وآله للباب: يا باب استمسك عليهم، فاستمسك عليهم الباب، فقال: ألم أقل لكم: إن كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلا العالمون ؟ تعالوا أفسّر لكم.

أما قولي: أنا الذي علوت فقهرت، فأنا الذي علوتكم بهذا السيف فقهرتكم حتى آمنتم بالله ورسوله. وأما قولي: أنا أحيي وأميت، فأنا أحيي السُّنَّة وأميت البدعة. وأما قولي: أنا الأول، فأنا أول من آمن بالله وأسلم. وأما قولي: أنا الآخر، فأنا آخر من سجد على النبي ثوبه ودفنه. وأما قولي: أنا الظاهر والباطن فأنا عندي علم الظاهر والباطن. قالوا: فرَّجت عنا فرَّجَ الله عنك "

٣ - وروى أيضاً المحدِّث الجليل الحسن بن سليمان الحلبي - وهو تلميذ شيخنا الشهيد الأول العاملي رحمه الله ويعتبر من علماء أوائل القرن التاسع - في مختصر بصائر الدرجات ص ٦٤ باب (تفسير بعض الآيات في ولاية أهل البيت عليهم السلام) بإسناده إلى سعد بن عبد الله عن المحدِّث الجليل إبراهيم بن هاشم عن محمد بن خالد البرقي عن محمد بن سنان أو غيره عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: لقد أسرى بي ربي عز وجل فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى وكلمني بما كلمني فكان مما كلمني به أن قال: يا محمد أنى أنا الله لا اله إلا أنا عالم الغيب الرحمن الرحيم أنى أنا الله لا اله إلا أنا الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون إني أنا الله الخالق الباري المصور لي الأسماء الحسنى يسبح لي من في السماوات والأرض وأنا العزيز الحكيم يا محمد: إني أنا الله لا اله إلا أنا الأول فلا شئ قبلي وأنا الآخر فلا شئ بعدي وأنا الظاهر فلا شئ فوقي وأنا الباطن فلا شئ دوني وأنا الله لا اله إلا أنا بكلِّ شئ عليم، يا محمد: عليّ عليه السلام أول من أخذ ميثاقه من الأئمة، يا محمد: عليّ آخر من أقبض روحه من الأئمة وهو الدابة التي تكلمهم يا محمد: عليّ أظهره على جميع ما أوحيه إليك ليس لك أن تكتم منه شيئاً، يا محمد: عليّ أبطنه سري الذي أسرته إليك فليس فيما بيني وبينك سر دونه، يا محمد: عليّ على ما خلقت من حلال وحرام عليّ عليه السلام عليم به .

إرشاد: هذه الخبر الشريف يشير إلى أن كل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله كان مأموراً بإبلاغه لأمر المؤمنين علي صلوات الله عليه وآله لأنه نفس النبي بنص آية التطهير والأخبار الشريفة الدالة على أنهما كانا نوراً واحداً في أول خلقتهما فقسّم الله هذا النور إلى قسمين: قسم نزل إلى صلب عبد الله وقسم نزل إلى صلب أبي طالب عليه السلام كما دلت عليه النصوص.. ويبدو من فقرات الخبر الشريف أن الله تعالى أظهر كل ما أخبر به نبيه في عالم الملك والناسوت مما يعني أنه كان مخبراً من الله تعالى من قبل.. تماماً كما كان النبي مخبراً بالقرآن قبل نزول القرآن على قلب نبيه {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} طه ١١٤.

المعنى الثاني الباطني: وفيه لم يستخدم أمير المؤمنين علي عليه السلام التأويل لكي يقنع الآخرين بمقاماته الشريفة كما فعل بالروايات الظاهرية التي استعرضنا جملة منها، والسر في عدم استخدام التورية والتأويل في هذه الروايات الآتية هو وجود القابليات عند المستمعين الجالسين تحت منبره الشريف، نعم هو نصب قرائن على أنه نال الخطوة من عند الله تعالى بسبب عبادته لله تعالى والقرب منه.. ومن هذه القرائن قوله بإذن الله تعالى وبأمره وأنه عبده.. كما سوف ترون، ومن هذه الروايات الشريفة خطبة البيان بتعدد نسخها وكذا الخطبة التنجية وأمثالهما اللتين استفضنا بذكر الأدلة على صحتها في بحثنا الأخرى منشورة على موقعنا الإلكتروني تحت عنوان: "خطبة البيان والتنجية صحيحتان دلالة" وثمة بحث آخر مهم جداً منشور أيضاً على موقعنا تحت عنوان: "دفع الإشكال المتوجّه على خطبة البيان والإفتخارية والتنجية". وإليك بعض المقتطفات من خطبة التنجية وغيرها للتدليل على عظمة مقامه الشريف، وها نحن نذكر ما رواه المحدث الجليل رجب البرسي رحمه الله تعالى:

الأولى: وروى المحدث رجب البرسي في المشارق ص ٢٦٥ خطبة التنجية ما يدل على أنه عليه السلام هو الأول والآخر والظاهر والباطن... ومن جملة ما قال عليه السلام: "ولو كشف لكم ما كان مني في القديم الأول، وما يكون مني في الآخرة، لرأيتم عجائب مستعظمت، وأموراً مستعجبات، وصنابع وإحاطات، أنا صاحب الخلق الأول قبل نوح الأول، ولو علمتم ما كان بين آدم ونوح من عجائب اصطنعتها، وأمم أهلكتها: فحق عليهم القول فبئس ما كانوا يفعلون. أنا صاحب الطوفان الأول، أنا صاحب الطوفان الثاني، أنا صاحب سيل العرم، أنا صاحب الأسرار المكنونات، أنا صاحب عاد والجنات، أنا صاحب ثمود والآيات، أنا مدمرها، أنا مزلزلها، أنا مرجعها [لعله تصحيف: مرجفها]، أنا مهلكها، أنا مدبرها، أنا بأبيها [تصحيف: بانيها]، أنا داحيها، أنا مميتها، أنا محيها، أنا الأول، أنا الآخر، أنا الظاهر أنا الباطن، أنا مع الكور قبل الكور، أنا مع الدور قبل الدور، أنا مع القلم قبل القلم، أنا مع اللوح قبل اللوح، أنا صاحب الأزلية الأولية، أنا صاحب جابلقا وجابرسا، أنا صاحب الرفوف وبهرم، أنا مدير العالم الأول حين لا سماءكم هذه ولا غبراًؤكم. قال: فقام إليه ابن صويمرة فقال: أنت أنت يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنا أنا لا إله إلا

الله ربي ورب الخلائق أجمعين، له الخلق والأمر، الذي دبر الأمور بحكمته، وقامت السماوات والأرض بقدرته، كأني بضعيفكم يقول ألا تسمعون إلى ما يدعيه ابن أبي طالب في نفسه، وبالأمس تكفهر عليه عساكر أهل الشام فلا يخرج إليها ؟ وباعث محمد وإبراهيم ! لأقتلن أهل الشام بكم قتلات وأي قتلات، وحقي وعظمتي لأقتلن أهل الشام بكم قتلات وأي قتلات، ولأقتلن أهل صفين بكل قتلة سبعين قتلة، ولأردنّ إلى كلّ مسلم حياة جديدة، ولأسلمن إليه صاحبه وقاتله ، إلى أن يشفي غليل صدري منه، ولأقتلن بعمار بن ياسر وبأويس القرني ألف قتيل أولاً يقال لا وكيف وأين ومتى وأنى وحتى ، فكيف إذا رأيتم صاحب الشام ينشر بالمناشير، ويقطع بالمساطر، ثم لأذيقنه أليم العقاب، ألا فأبشروا، فيلي يرد أمر الخلق غدا بأمر ربي، فلا يستعظم ما قلت، فإننا أعطينا علم المنايا والبلايا، والتأويل والتنزيل، وفصل الخطاب وعلم النوازل ، والوقائع والبلايا ، فلا يعزب عنا شيء كأني بهذا وأشار إلى الحسين عليه السلام قد ثار نوره بين عينيه، فأحضره لوقته بحين طويل يزلزلها ويخسفها، وثار معه المؤمنون في كل مكان، وأيم الله لو شئت سميتهم رجلاً رجلاً بأسمائهم وأسماء آبائهم فهم يتناسلون من أصلاب الرجال وأرحام النساء، إلى يوم الوقت المعلوم . ثم قال: يا جابر، أنتم مع الحق ومعه تكونون، وفيه تموتون، يا جابر إذا صاح الناقوس، وكبس الكابوس، وتكلم الجاموس، فعند ذلك عجائب وأي عجائب، إذا أنارت النار ببصرى، وظهرت الراية العثمانية بوادي سوداء، واضطربت البصرة وغلب بعضهم بعضاً، وصبا كل قوم إلى قوم، وتحركت عساكر خراسان، وتبع شعيب بن صالح التميمي من بطن الطالقان، وبويع لسعيد السوسي بخوزستان، وعقدت الراية لعماليق كردان، وتغلبت العرب على بلاد الأرمن والسقلاّب، وأذعن هرقل بقسطنطينة لبطارقة سينان، فتوقعوا ظهور مكلم موسى من الشجرة على الطور ، فيظهر هذا ظاهر مكشوف، ومعين موصوف، ألا وكم عجائب تركتها، ودلائل كتمتها، لا أجد لها حملة، أنا صاحب إبليس بالسجود، أنا معذبه وجنوده على الكبر والغرور بأمر الله، أنا رافع إدريس مكاناً علياً، أنا منطق عيسى في المهد صبيّ ، أنا مدين الميادين وواضع الأرض، أنا قاسمها أخماساً، فجعلت خمساً براً، وخمساً بحراً، وخمساً جبلاً، وخمساً عماراً، وخمساً خراباً، أنا خرقت القلزم من الترجيم، وخرقت العقيم من الحيم، وخرقت كلاً من كلّ، وخرقت بعضاً في بعض، أنا طيرثا، أنا جانبوثا، أنا البارحلون، أنا عليوثوثا، أنا المسترق على البحار في نواليم [لعها: أقاليم] الزخار عند البيار، حتى يخرج لي ما أعد لي فيه من الخيل والرجل، فخذ ما أحببت، وأترك ما أردت، ثم أسلم إلى عمار بن ياسر اثني عشر ألف أدهم على أدهم، منها محب لله ولرسوله، مع كلّ واحد اثني عشر كتيبة، لا يعلم عددها إلا الله، ألا فأبشروا، فأنتم نعم الإخوان، ألا وإن لكم بعد حين طرفة تعلمون بما بعض البيان، وتنكشف لكم صنائع البرهان، عند طلوع بهرام وكيوان، على دقائق الاقتران، فعندما تتواتر الهزات والزلازل، وتقبل رايات من شاطئ جيحون إلى بيداء بابل...".

الثانية: قال المحدث رجب البرسي رحمه الله في كتابه مشارق أنوار اليقين ص ٢٧٠: "فصل: (آثار علي عليه السلام بالكون) ومن خطبة له عليه السلام قال: أنا عندي مفاتيح الغيب، لا يعلمها بعد رسول الله إلا أنا، أنا ذو القرنين المذكور في الصحف الأولى، أنا صاحب خاتم سليمان، أنا ولي الحساب، أنا صاحب الصراط والموقف، قاسم الجنة والنار بأمر ربي، أنا آدم الأول، أنا نوح الأول، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا موع الثمار، أنا مفجر العيون، أنا مجري الأنهار، أنا خازن العلم، أنا طود الحلم، أنا أمير المؤمنين، أنا عين اليقين، أنا حجة الله في السماوات والأرض، أنا الراجفة، أنا الصاعقة، أنا الصيحة بالحق، أنا الساعة لمن كذب بها، أنا ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، أنا الأسماء الحسنى التي أمر أن يدعى بها، أنا ذلك النور الذي اقتبس منه الهدى، أنا صاحب الصور، أنا مخرج من في القبور، أنا صاحب يوم النشور، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى وشافيه، أنا أقمت السماوات بأمر ربي، أنا صاحب إبراهيم، أنا سر الكليم. أنا الناظر في الملكوت، أنا أمر الحي الذي لا يموت، أنا ولي الحق على سائر الخلق، أنا الذي لا يبدل القول لدي، وحساب الخلق إليّ، أنا المفوض إليّ أمر الخلائق، أنا خليفة الإله الخالق، أنا سر الله في بلاده، وحجته على عباده، أنا أمر الله والروح، كما قال سبحانه: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) أنا أرسيت الجبال الشامخات، وفجرت العيون الجاريات، أنا غارس الأشجار، ومخرج الألوان والثمار، أنا مقدر الأقوات، أنا ناشر الأموات، أنا منزل القطر، أنا منور الشمس والقمر والنجوم، أنا قيّم القيامة، أنا القيم الساعة [قيّم الساعة]، أنا الواجب له من الله الطاعة، أنا سر الله المخزون، أنا العالم بما كان وما يكون، أنا صلوات المؤمنين وصيامهم، أنا مولاهم وإمامهم، أنا صاحب النشر الأول والآخر، أنا صاحب المناقب والمفاخر، أنا صاحب الكواكب، أنا عذاب الله الواصب، أنا مهلك الجبابرة الأول، أنا مزيل الدول، أنا صاحب الزلازل والرجف، أنا صاحب الكسوف والخسوف، أنا مدمر الفراعنة بسيفي هذا، أنا الذي أقامني الله في الأظلة ودعاهم إلى طاعتي، فلما ظهرت أنكروا، فقال الله سبحانه: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به)، أنا نور الأنوار، أنا حامل العرش مع الأبرار، أنا صاحب الكتب السالفة، أنا باب الله الذي لا يفتح لمن كذب به ولا يذوق الجنة، أنا الذي تزدحم الملائكة على فراشي، وتعرفني عباد أقاليم الدنيا، أنا ردت لي الشمس مرتين، وسلمت عليّ كرتين، وصليت مع رسول الله القبلتين، وبايعت البيعتين، أنا صاحب بدر وحنين، أنا الطور، أنا الكتاب المسطور، أنا البحر المسجور، أنا البيت المعمور، أنا الذي دعا الله الخلائق إلى طاعتي فكفرت وأصرت، فمسخت، وأجابت أمة فنجت، وأزلت، أنا الذي بيدي مفاتيح الجنان، ومقاليد النيران، كرامة من الله، أنا مع رسول الله في الأرض وفي السماء، أنا المسيح حيث لا روح يتحرك ولا نفس يتنفس غيري، أنا صاحب القرون الأولى، أنا الصامت ومحمد الناطق، أنا جاوزت بموسى في البحر، وأغرقت فرعون وجنوده، وأنا أعلم همهم البهائم، ومنطق الطير، أنا الذي أجوز السماوات السبع والأرضين السبع في

طرفة عين، أنا المتكلم على لسان عيسى في المهدي، أنا الذي يصلي عيسى خلفي، أنا الذي أنقلب في الصور كيف شاء الله، أنا مصباح الهدى، أنا مفتاح التقى، أنا الآخرة والأولى، أنا الذي أرى أعمال العباد، أنا خازن السماوات والأرض بأمر رب العالمين، أنا القائم بالقسط، أنا ديان الدين، أنا الذي لا تقبل الأعمال إلا بولايتي، ولا تنفع الحسنات إلا بحبي، أنا العالم بمدار الفلك الدوار، أنا صاحب مكيال وقطرات الأمطار، ورمل القفار بإذن الملك الجبار، ألا أنا الذي أقتل مرتين وأحيي مرتين وأظهر كيف شئت، أنا محصي الخلائق وإن كثروا، أنا محاسبهم بأمر ربي، أنا الذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء، أنا الذي جحد ولايتي ألف أمة فمسيحوا، أنا المذكور في سالف الأزمان والخارج في آخر الزمان، أنا قاصم الجبارين في الغابرين، ومخرجهم ومعذبهم في الآخرين، يغوث ويعوق ونسراً عذاباً شديداً، أنا المتكلم بكل لسان، أنا الشاهد لأعمال الخلائق في المشارق والمغرب، أنا صهر محمد، أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا شبه، أنا باب حطة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى .

هذه الفقرات الشريفة عليها شواهد من الآيات والأخبار بلغت المئات تثبت صحتها ومثانة دلائلها، فوالله لو فُسيح لنا المجال واتسقت لنا الأحوال لكنا ملأنا بها الخافقين بما تقر به العين وتطيب له القلوب وتتفلسف به الكروب.. نسأل الله تبارك وتعالى أن يمنَّ علينا بسعة الأحوال وهدوء البال لكي نشرح خطبة الأشباح والإفتخار والتطنجين بما يختلف بماهيته عن شرحها من الأعلام وأجلى بعض الغموض فيها، فجزاهم الله تعالى خيراً وضاعف لهم الثواب وأجزل لهم العطاء... وأمني أن أشرح هاتيك الخطبة الشريفة قبل مجيء الأجل والإرتحال من دنيا الشقاء والهوان.. فأرجو من الله تعالى الحليم المنان تحقيق ما أتمناه إن كان في ذلك مصلحة يرتقيها الله تعالى عبر حججه الأطهار لا سيما إمامنا القائم المهدي الموعود صلوات الله عليه وعلى آبائه الهداة المهديين والنجباء المرضيين..

والملفت للنظر: أن الذين أنكروا الخطبتين لم ينكروا جميع فقراتها بل أنكروا الفقرات الغريبة عن عقولهم بما تحمله من عجائب الأسرار.. ويعود ذلك إلى قابلياتهم الضعيفة وعقولهم الناقصة الكثيفة التي لا تحمل المعاني الرفيعة والعجائب الكبرى المنيفة.. وكلُّ إناءٍ بما فيه ينضح، وعلى قدر العقول تتحمل النفوس، وهو ما أشارت إليه النصوص، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "إنَّا معاشر الأنبياءُ أمرنا أن نكلِّم الناسَ على قدر عقولهم"، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: "وإني لأتكلّم الكلمة ولي منها سبعون مخرجاً"، وقوله (عليه السلام): (لا يكون الرجل فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا وأن الكلمة من كلامنا لتصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج) وقال (أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلماتنا، إن الكلمة لتصرف على وجوه، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب) و(إنَّا نتكلّم بالكلمة الواحدة لها سبعون وجهاً إن شئت أخذت كذا وإن شئت أخذت كذا) و(إن القرآن

نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للإمام عليه السلام أن يفتي على سبعة وجوه، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب).

وقد عقد الشيخ الصفار أعلى الله مقامه الشريف في كتابه بصائر الدرجات العشرات من الأخبار في الباب التاسع من كتابه تحت عنوان: "باب في الأئمة أنهم يتكلمون على سبعين وجهاً في كلها المخرج ويفتون بذلك"، وهؤلاء العلماء الكسالى تغاضوا عن كل ذلك فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض الآخر فبئس ما فعلوا ويفعلون.. وهؤلاء المنكرون قلّدوا الكبار الأوائل منهم، ولو كان الأوائل آمنوا بالخطبتين لرأيتم المتأخرين مضوا على طريقتهن كالعميان والبهكم لا يلوون على شيء سوى أن الأعظم آمنوا بتبنيك الخطبتين {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} {الزخرف ٢٢} {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} {الزخرف ٢٣} {قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} {الشعراء ٧٤} . فنظروا بأقوال غيرهم من العلماء ولم ينظروا إلى ما قيل بعين العقل والبصيرة، فيردوه إلى المحكمات بدلاً من الحكم عليه بالضلال والمهملات!! فنظروا إلى مَنْ قال، ولم ينظروا إلى ما قيل.. وليستعدّوا لجواب ربّ العالمين حيث قال: (أَوَلَمْ نُعْزِزْكُمْ مَا يَنْذَرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ) فما جاء في خطبة البيان والتطنجية وأمثالهما جاء بهما النذير، فلا يجوز رميها بالهجر والنبد بالغلو ما دامت كل كلمة منها تحمل أسراراً وتأويلاً متناسباً مع الأسس والأصول العقدية، فهذا كلام الله على لسان النذير، وهاتيك الأدلة العقلية المستندة إلى العقل الكامل والموزون هي التي جعلها الله حجةً على برّيته . وسيعلم الذين ظلموا آل محمد - فأنكروا أسرارهم - أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين.

زبدة المخض: لقد أنكر الخطبتين المذكورتين ثلثة من المنسويين إلى العلم والعلماء من غير دراية في مفاهيم المعارف الإلهية والقرآن المنزل على رسوله الأمين صلى الله عليه وآله الذي قصّ علينا في آياته كيفية إحياء النبي إبراهيم للطير والنبي عيسى للموتى وخلق من الطين طيراً بإذن الله تعالى، فمن خلق من الطين طيراً يمكنه أن يخلق أرضاً وسماءً وشمساً وقمرًا وحيوانات وطيوراً وأسماكاً ونباتاً وأحجاراً ما دام المناط واحداً وهو الخلق بإذن الله تعالى يهبه لمن شاء من عباده المصطفين الأخيار.. فما الضير في ذلك أيها المستدبرون عن فهم قدرات عليّ الإمام المظلوم وقدراته بتفويض من الله تعالى علام الغيوب فلا العقل يرفضه ولا الشرع ينبذه...؟؟ وقد نصب أمير المؤمنين في خطبته "التطنجية والبيان" وأمثالهما القرائن على أنه قام بتلك الغرائب بإذن الله تعالى وليس من عند نفسه الشريفة، وقد فندنا في بحوثنا حول الخطبتين المتوفرتين على موقعنا "مركز العترة الطاهرة للبحوث والدراسات" دعوى الرافضين لمثل هذه الكلمات الثقيلة على نفوس مستمعيها بما يثلج قلب المؤمن الوفي التقي العارف بمقامات أمير المؤمنين عليه وما خصّه الله تعالى من

غرائب أحوال لم تكن لأحد من الأنبياء والمرسلين على الإطلاق.. أمرهم صعب مستصعب.. ودعوى أن الشيخ الجليل رجب البرسي رحمه الله هو المتفرد في نقل الخطبتين لا يعتد به ولا يركن إليه، وهو خلاف التحقيق وذلك لأمرين هما:

(الأمر الأول): إنَّ المحدث الجليل رجب البرسي أعلى الله مقامه الشريف لم يتفرد بنقل الخطبتين العظيمتين "البيان والتطنجية" بل سبقه إلى ذكرهما ابن شهر آشوب رحمه الله تحت إسمين مختلفين هما: فالأولى - أي البيان - هي التي سماها ابن شهر آشوب بالخطبة الإفتخارية، بينما الخطبة التطنجية جاءت تسميتها في المصادر الأخرى ب(خطبة الأقاليم) حسبما ذكر ذلك العلامة آغا بزرك الطهراني حيث قال في ترجمة رقم "٩٨٨": (الخطبة التطنجية) من الخطب المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام مذكورة في "المجموع الرائق" المؤلف في (٧٠٣) وذكرها أيضاً البرسي في "مشارك أنوار اليقين" الذي ألفه (المتوفى عام ٧٧٣ هـ) وأوردها البارجيني رحمه الله في "الزام الناصب" وقد شرحها السيد كاظم الرشتي في - يقصد في ١٢٣٢ هـ - شرحاً مبسوطاً طبع في (١٢٧٠) أول الخطبة كما في "مشارك الأنوار" [الحمد لله الذي فتق الاجراء وخلق الهواء] وفي أواخرها [أنا جعلت الأقاليم أربعاً والجزائر سبعاً، فإقليم الجنوب معدن البركات وإقليم الشمال معدن السطوات وإقليم الصبا معدن الزلازل وإقليم الدبور معدن الهلكات] ويقال إن وجه تسميتها بالتطنجية هو قوله في أوائلها [أنا الواقف على التطنجين.. إلى قوله [والتطنجان خليجان من ماء كأنهما أيسار تطنجين وأنا المتولي دائرتها].

ثم قال آغا بزرك الطهراني: من عدم ذكر ابن شهر آشوب هذه الخطبة وذكر خطبة الأقاليم كما مر مع وجود ذكر الأقاليم في أواخر هذه الخطبة يحتمل اتحادهما كما أشرنا إليه آنفاً . إنتهى كلام آغا بزرك.

وقال أيضاً آغا بزرك في موضع آخر من كتابه "الذريعة": خطبة الأشباح وخطبة الافتخار هما من مشاهير خطب علي عليه السلام، ويظهر من كلام ابن شهر آشوب وجودهما في عصره، والأول مذكور في "نهج البلاغة" وقد عقد الشيخ رجب البرسي في "مشارك الأنوار ص ١٧١" فصلاً أورد فيه خطبة الافتخار برواية الأصبغ بن نباتة، أولها: [أنا أخو رسول الله ووارث علمه ومعدن حكمه وصاحب سره] يشبه مضامينها مضامين خطبة البيان التي لم يذكرها البرسي بهذا الاسم كما أن ابن شهر آشوب لم يذكر خطبة البيان، وإنما ذكر خطبة الافتخار فلذا يحتمل اتحادهما كما سنشير إليه .

يقول العبد العاملي: ومما يؤكد صحة الخطبتين اللتين لا يتحملهما إلا من ألقى السمع وهو شهيد: أن آغا بزرك الطهراني قد دوّن أسماء علماء أجلاء قاموا بشرح الخطبتين "التطنجية والبيان" بما لا يدع مجالاً لإنكارهما ونفيهما من الأساس.. فليراجع كتاب "الذريعة" للطهراني رحمه الله تعالى... وتلك الشروح طافحة بنصب القرائن المتصلة والمنفصلة المؤكدة على أن مقام ولاية وإمامة أمير المؤمنين علي صلوات ربي عليه وآله في غاية العظمة والجلال والكمال.. فنفي

بعض العلماء للخطبتين "التطنجية والبيان" يعدُّ تسرعاً وهو تهور لا يصح صدوره من علماء حكماء ذوي دراية وفطنة ونباهة وذكاء...!!.

(الأمر الثاني): إنَّ بعض أخبار المعاجز والكرامات والمناقب والفضائل قد تفرد بنقلها بعض الرواة ولم يستنكر عليهم أحدٌ بالنقل.. ولا يُصغى إلى كلام العلامة المجلسي صاحب بحار الأنوار (ج ١ ص ١٠) المنكر للنقل عن كلِّ ما تفرد بنقله العلامة رجب البرسي، فقال في الفصل الأول في بيان الأصول والكتب المأخوذ منها، وبدأ يعدد تلك الكتب ومنها: ".. كتاب مشارق الأنوار، وكتاب الألفين للحافظ رجب البرسي، ولا أعتمد على ما يتفرد بنقله لاشتمال كتابيه على ما يوهم الخبط والخلط والارتفاع، وإنما أخرجنا منهما ما يوافق الاخبار المأخوذة من الأصول المعتمدة". فقد جعل العلامة المجلسي رحمه الله الكتابين المذكورين: "مشارق الأنوار والألفين" لرجب البرسي من الأصول المعتمدة عنده إلا أنه لا يأخذ بكلِّ ما فيهما، بل يختار ما يعتبره موافقاً للأصول عنده...!!

الإيراد على العلامة المجلسي رحمه الله:

نورد على صاحب البحار المجلسي رحمه الله بالآتي: لقد تفرد صاحب البحار بكثير من الروايات الشاذة في بحار الأنوار، بل الكثير منها نقله من العامة العمياء.. والأغرب من ذلك توقفه عن الأخذ بالروايات التي تشير إلى خيانة عائشة في طريق البصرة.. بالرغم من أن رواية خيانتها مروية في تفسير القمي الذي يعتبره صاحب البحار من المصادر الموثوقة عنده، فقد قال في بحار الأنوار ج ١ ص ٢٧ في توثيق المصادر التي نقل منها هو "كتاب تفسير علي بن إبراهيم من الكتب المعروفة، وروى عنه الطبرسي وغيره" كما أنه روى روايات شاذة مخالفة للأصول عند الشيعة الإمامية.. فقبل أن يعترض على الكتابين للبرسي رحمه الله وهما: "الألفين ومشارق الأنوار" يجب عليه أن يلتزم شخصياً بما اعتقده قبيحاً في حق رجب البرسي المحدث الجليل والثقة الأمين...!!

والبكم ما قاله الشيخ المجلسي في البحار منكرًا زنا عائشة بالرغم من أنه يعتمد على تفسير علي بن إبراهيم القمي:

قال المجلسي في البحار (ج ٣٢ ص ١٠٧ ح ٧٧) ناقلاً رواية زنا عائشة من تفسير علي بن إبراهيم: قال علي بن إبراهيم في قوله: " وضرب الله مثلاً " ثم ضرب الله فيهما مثلاً فقال: (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) قال: والله ما عنا بقوله: "..."، هنا شيء محذوف ولكنه في ج ١١ ص ٣١٠ قال: " فخانتاهما " إلا الفاحشة " . والحذف إمّا منه وإمّا من الناشرين الجدد...!!

ثم قال صاحب البحار في التعقيب البياني في (ج ٣٢ ص ١٠٧ ح ٧٧) تحت عنوان "بيان": المراد بفلان طلحة وهذا إن كان رواية فهي شاذة مخالفة لبعض الأصول، وإن كان قد يبدو من طلحة ما يدل على أنه كان في ضميره الخبيث مثل ذلك لكن وقوع أمثال ذلك بعيد عقلاً ونقلاً وعرفاً وعادةً وترك التعرض لأمثاله أولى). انتهى.

وفي البحار (ج ٢٢ ص ٢٤٠ ح ٤) نقله عن تفسير القمي بحق خيانة عائشة قال المجلسي تعقيباً على الخبر تحت عنوان: [بيان: قوله: أربعة، أي أبو بكر وعمر وبنتهما، قوله: إلا الفاحشة، لعلها مؤولة بمحض التزويج قوله: وليقيم الحد، أي القائم عليه السلام في الرجعة، كما سيأتي، والمراد بفلان طلحة كما مر ما يومي إليه من إظهاره ذلك في حياة الرسول صلى الله عليه وآله)، وفي هذا الخبر غرائب لا نعلم حقيقتها، فطوبنا على غرها والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم جهة صدورها () .

ولسنا ندري ما هي تلك الأصول التي ادعاها المجلسي ؟ وما هي تلك الغرائب التي ادعاها في خبر زنا عائشة...!! وهل الغرابة ومخالفة الأصول هي استحالة زناها بعد شهادة النبي...؟! وإذا كان ذلك مستحيلاً فلماذا هدد الله نساء النبي بالنار في حال خرجت من التقوى والإيمان...؟! وقد أسهبنا في الإيراد على المنكرين لصدور الفاحشة من عائشة في كتابنا (خيانة عائشة بين الإستحالة والواقع) فليراجع.

هذا مضافاً إلى ما رواه من روايات شاذة ومخالفة للأصول حول ركوب الإمامين الحسنين عليهما السلام على ظهر النبي وهما يقولان له كما يقول راكب الفرس للفرس: "حل حل"، وقد رواها أكثر المخالفين وتبعهم بالنقل محدثون شيعة منهم ابن شهر آشوب وقاضي النعماني الفاطمي المتوفى عام ٣٨٩ هجري في شرح الأخبار ج ٣ ص ٨٧ رقم [١٠١٣] وتبعهم المجلسي في البحار (ج ٤٣ ص ٢٨٥ ح ٥٠) حيث نقلها من كتاب الإحياء للغزالي عن ابن نجيح وهي رواية بسند عامي ورواه المخالفون عن سفيان الثوري عن الليث بن سعد عن جابر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي يوماً في بيته والحسين بن علي عليه السلام صغير بالقرب منه ، فكان إذا سجد جاء الحسين عليه السلام يركب ظهره ، ثم حرك رجله ، وقال: حل ، حل . فإذا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه ، فإذا سجد عاد على ظهره ، وقال : حل ، حل . فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من صلاته ، ورجل من اليهود بالقرب منه ينظر إلى ذلك من فعله . فقال : يا محمد إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن بهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله لرحمتم الصبيان، فقال: فإني أؤمن بالله وبرسوله، وأسلم لما رأى من رسوله الله صلى الله عليه وآله مع عظيم قدره.

ومعنى حل حل: "قوله: حل، حل. يقال من ذلك للإبل إذا فلت (حل) بالتخفيف، وهو زجر للإبل تساق به، نقوله العرب إذا زجرتها لتسوقها، بل يُقال ذلك للحمار إذا أبطأ في مشيه..

وقال المجلسي رحمه الله في موضع آخر تحت عنوان بيان: "لعل المعنى أنهما استقبلا أو استدبرا عند الركوب فحاذى يمين كلٍ منهما شمال الآخر، أو أنه جعل أيدي كلٍ منهما أو أرجلها من جانب كما سيأتي في رواية أبي يوسف".

يقول العبد العاملي: رواية أبي يوسف واضحة في أن رسول الله صلى الله عليه وآله أركب الإمامين الحسنين عليهما السلام على ظهره بحيث اتخذ النبي مطية لهما وهو ما أشارت إليه رواية أبي يوسف في نفس المجلد رقم الحديث ٥١ وليس في الرواية المذكورة جملة "حل حل" بل غاية ما فيها كغيرها من الروايات أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أركبهما على ظهره أو كتفيه قائلاً لهما: نعم الجمل جملكما ونعم الفارسان أنتما.. ولا مانع من ذلك على الإطلاق وإنما المنع هو في عبارة "حل حل" فإن فيها تنقيصاً من مقام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله..! ولم يروِ جملة "حل حل" سوى سفيان الثوري عن الليث بن سعد عن جابر المتقدمة ورواية ابن نجيح ولم يعقب عليهما العلامة المجلسي رحمه الله مما يعني أنه يتبناها بالرغم من شذوذها ومخالفتها للأصول العقدية والدراية الرجالية والفقهية.. فتأمل.

والعجب من صاحب البحار الراوي للكثير من المعجزات الباهرات التي تضاهي بعظمتها الخطبتين العظيمتين ولم يستغرب منها ولم ينعتها بالغلو والإرتفاع، لا لشيء سوى أن تلکم المعاجز لا يقدر على تضعيفها بسبب كثرتها التي تعد بالآلاف وانعقد على ثبوتها الإجماع.. فمثل هاتيك المعاجز لا يمكنه رفضها وردّها ونعتها بالغلو والإرتفاع عن حد الاعتدال..!! فما وجه الغرابة عنده في الخطبتين ما دام ما فعله أمير المؤمنين عليّ صلى الله عليه وآله يعتبر من الخوارق التي تعجز عن إدراكها من انهمك في قشريات العامة العمياء وتأثر بأخبارهم ومعتقداتهم ومال إليهم ببعض التصرفات والحركات.. وأين هو من قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ((إن فيك شبهاً من عيسى بن مريم ولولا أن تقول فيك طوائف من أمي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمر بمأى من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يلتمسون بذلك البركة..)) وقالوا عليهم السّلام: "إن قلوبنا أوعية لمشية الله، فإذا شئنا شاء الله" وقال عليه السّلام: "ظاهري إمامة وباطني غيب لا يدرك" وحتى لا يظن أحد أننا نتفرد بهذه المعارف الحقّة الماثورة في خطبتي التطنجية والبيان فقد سبقنا إليها علماء على مستوى عالٍ من النظر كالعلامة المازندراني صاحب تفسير الكافي، والعلامة البيضاوي العاملي صاحب كتاب "الصراط المستقيم" والمرجع الراحل حسين البروجردي في كتابه تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ص ١٥٣ وهو تفسير لكتاب العلامة النباطي العاملي "الصراط المستقيم" عند تفسيره لرواية "ظاهري إمامة وباطني غيب لا يدرك" وهؤلاء الفقهاء الأجلاء وإن كانوا شفروها بقلب الإمكان إلا أننا تجاهرنا بها بصريح البيان من دون قولبة بأداتي التمني والترجي "لعلّ وعسى.. فافهم الجواب رحمك الله تعالى..

آل البيت عليهم السلام هم العلّة الفاعلية لهذا الكون عند المولى المازندراني والسيد حسين البروجردي رضي الله عنهما:

قال العلامة الجليل البيضاوي العاملي - الذي فسّر كلامه العلامة المرجع البروجردي القمي أعلى الله مقامهما، والثاني اعتمد على كلام المازندراني مؤكداً كلام العلامة علي بن يونس النباطي البيضاوي العاملي عامله الله بأنواره ورحمته

وإشراقاته - فقال الشارح رحمه الله "قال الله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقال: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) وللمصاحبة مع الله تعالى كما قالوا عليهم السلام: "إن قلوبنا أوعية لمشية الله، فإذا شئنا شاء الله"، ولمصاحبته مع الخلق كما قالوا: "إن لنا مع كلِّ وليٍّ أذنَّ سامعة وعينٌ ناظرة"؛ وفي الخطبة التنجية: "لقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى وما تحت السابعة السفلى وما في السماوات العلى وما تحت الثرى، كلُّ ذلك علم إحاطة لا علم إخبار"؛ وللتنعية: إذ به يصل الواصلون ويفوز الفائزون، فإنَّ كلَّ ذرة من ذرات الوجود لا تصل وصولاً فعلياً إلى حقيقتها الكمالية الإمكانية إلَّا بنور الهداية وشرف الولاية، فتتعدى اللوازم إلى إظهار مستجنات الإمكان في عالم العيان في الأكوان والأعيان؛ وللسببية: فإنهم عليهم السلام أسباب كينونات العباد ووجوداتهم، وهدايتهم إلى مصالح المعاش والمعاد، ونزول البركات الدينية والدنيوية عليهم، كما يستفاد ذلك كله من تضاعيف الأخبار المتواترة الدالة على بدو أنوارهم وأرواحهم، وأنَّ كلَّ ما سواهم من الذوات والأنوار والخيرات والسعادات والبركات إنما خلقت من أشعة أنوارهم، بهم فتح الله وبهم يختم، وبهم ينزل الغيث وبهم يمस्क السماء أن تقع على الأرض إلَّا بإذنه، وبهم ينفس الهمَّ ويكشف الضر، وبهم علَّمنا الله معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من دنيانا، وفي "التوحيد" عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عبادته، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عبادة بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدل عليه، وخزائنه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار، وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا نزل غيث السماء، ونبت عشب الأرض، وعبادتنا عبد الله، ولولا نحن ما عبد الله"، والأخبار بهذا المضمون كثيرة لا تحصى مذكورة في «البحار» وغيره.

ثم عرَّج العلامة البروجردي أعلى الله مقامه فقال: قال مولانا محمد صالح المازندراني طاب ثراه في شرح قوله عليه السلام: "بنا أثمرت الأشجار" أي بوجودنا وبركتنا أو بأمرنا صارت الأشجار مثمرة.

أما الأول: فلأن وجودهم سبب لبقاء نظام العالم، فلو لم يكن وجودهم لم يكن عالم ولا نظام ولا أشجار ولا أثمار. وأما الثاني: فلأنهم المدبرون في هذا العالم بإذن ربهم.

ثم قال للعلامة البروجردي: ولعل الأولى ترك التقييد بهذا العالم في كلامه الأخير لما ورد من أتهم الحجاج لله سبحانه على خلقه في جمع العوالم التي ورد في بعض الأخبار أنها ألف ألف عالم على ما يأتي في تفسير قوله تعالى (رَبِّ الْعَالَمِينَ).

وبالجملة فهم المقصود في جميع النشئات والعوالم، ولذا خوطب النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم بقوله: "لولاك لما خلقت الأفلاك"، وبقوله: "خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك" وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في بعض

خطبة المذكورة في "نهج البلاغة": نحن "صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا أو صنائع الله لنا"؛ وإن كانت العبارة أيضاً صالحة للإشارة إلى كونهم العلة الفاعلية . وفي الخبر المذكور في كتاب « الأنوار » على ما حكاه في البحار عن مولانا أمير المؤمنين رُوحِي له الفداء : « إِنَّ نور نبينا محمد صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّمَ بقي ألف عام بين يدي الله عزَّ وجل واقفاً يسبِّحه ويحمده والحق تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدي أنت المراد والمريد وأنت خيرتي من خلقي، وعزتي وجلالي لولاك لما خلقت الأفلاك" وما ذكرناه من معاني حرف الباء أنموذج يظهر لك باقي معانيها وأمير المؤمنين عليه السَّلام هو غيب ذلك كلَّه وحقيقته ومبدؤه وأصله ومنشؤه؛ وإليه الإشارة بقوله: "أنا النقطة تحت الباء " أي غيبها وسرها المستتر المقنع بالسر وحقيقتها المحجوبة في ذاتها المنزلّة إلى عالم الناسوت، إذ ليس المراد هو النقطة الواقعة تحت حرف الباء بالمداد والسواد بحيث نَمِيز الباء عن التاء والتاء والياء، فإنها حدود عرضية وصفات خارجية وعلامات مميزة لا دخل لها في جوهر الذات، بل المراد أنّ الوحدة إمّا وحدة حقيقة لا تعرّف بكم ولا كيف ولا جهة ولا إضافة ولا ذات ولا وصف ولا نعت ولا حقيقة ولا اعتبار، بل هو الواجب الحق والمجهول المطلق من حيث الذات لا من حيث الآثار، ولذا ينبغي قطع الطمع عن التكلم فيه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وإمّا وحدة خلقية ولها تجليات ومظاهر في جميع العوالم المرتبة في السلسلة الطولية من الدّرة إلى الدّرة ففي عالم الجبروت هي الوحدة وهي المشية الكلية [المشيئة الكلية]، ونور محمّد وعليّ عليهما السَّلام، وهذه الوحدة لا تنزل تنزل من عالم إلى عالم حتى تظهر في عالم الحروف الكتبية المنقوشة في الألواح والسطور بالنقطة التي هي أصل كل الحروف.

فإن أول ما يقع القلم في اللوح تظهر النقطة ولو قبل الجريان، فتظهر هي بنفسها وتتجلى ساير الحروف بها فهي آية نقشية ناسوتية المشيئة الكلية الإلهية، كما قال عليه السَّلام: "خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة ". [الأصح بالمشيئة لا المشيئة].

إلى أن قال رحمه الله تعالى: (أَوَّلُ يَرِّ الدِّينِ كَفَرُوا بولاية أمير المؤمنين) أَنَّ السَّمَاوَاتِ (سَمَاوَاتِ الْعُقُولِ وَالْمَجْرَدَاتِ) وَالْأَرْضِ (أَرْضِ النُّفُوسِ وَالْمَادِيَّاتِ) كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْنَاهُمَا) بنور المشيئة الذي هو الفيض الأول، والنور الذي أشرق من صبح الأزل وهو الماء المطهر النافذ في العمق الأكبر ولذا قال: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) . (أَوَّلُ يَرِّوْنَا نَسُوقُ الْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ) وهي أرض الإمكان (فَتُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) . إنتهى الشاهد من كلامه رحمه الله.

إرشاد عاملي: إن المراد من العلة الفاعلية - التي ذكرها في الشرح العلامة البروجردي أعلى الله مقامه في قول الإمام الأعظم سيّد الموحدين أمير المؤمنين عليّ عليه السَّلام في نهج البلاغة: [نحن صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا أو صنائع الله لنا؛ وإن كانت العبارة أيضاً صالحة للإشارة إلى كونهم العلة الفاعلية] - هي العلة الموحدة للأشياء من

العدم بإذنٍ من الله تعالى، وهو القول الحقّ الذي فرّ منه الكثير من العلماء والفقهاء تحت ذريعة أن الاعتقاد بهذا غلو وكفر.. فنظروا إلى من دونهم ولم ينظروا إلى من فوقهم، فلم يعرفوا الحقّ بكماله وجلاله وجماله، لذا لم يعرفوا أهله وهم آل محمد عليهم السلام..! لم يعرفوا أسرار الله وعظمته في أوليائه في عوالم الملكوت واللاهوت والجبروت فتأهوا في شِعاب الملك والناسوت وبرهوت..!!

وفي الختام نقول: مع تقديرنا للعلامة المجلسي رحمه الله في جمعه للتراث الروائي في كتابه البحار، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (نَصَّرَ الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يبلغها، رُبَّ حامل فقه ليس بفقيه ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه) فهو فقيه إلا أنه من الفقهاء القشريين وقد قلّده أكثر من جاء بعده من الأخباريين والأصوليين، فقد قلّده استحساناً في جمعه للروايات المتعارضة في الحكم على المخالفين بالإسلام والكفر معاً، فادّعى أنهم مسلمون في الدنيا وكفار في الآخرة وهو جمع تبرعي ليس ثمة شاهد عليه من الأخبار.. بل هو بدعة تقلّدها من العلامة الحلي صاحب كتاب المعتبر الذي أفتى بطهارة المخالفين ظاهراً كما أشرنا إليه في كتابنا "معنى الناصبي وحكم التزواج معه"، والروايات صريحة في الحكم عليهم بالكفر لإنكارهم ضروريات الدين.. فهو جمعٌ بين الأضداد ومخالِفٌ للأخبار الصريحة بكفر المنكر لإمامتهم وولائتهم تبعاً لأصنام السقيفة، وقد فنّدنا دعواه ودعوى كلّ من تمسك برأيه من الأخباريين وعلماء الأصول في كتابنا "معنى الناصبي" فليراجع. وقبل أن يتسرع العلامة المجلسي في الحكم على بعض المطالب العقائدية من دون تأمل ودراية، كان الواجب يدعوه بالتريث في الحكم على الخطبتين وبالتريث عن توقفه في الأخذ بروايات زنا عائشة الصريحة في خيانتها بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله) ناعتاً تلك الروايات بالشذوذ ومخالفة الأصول وكونها من الغرائب التي لا يعلم حقيقتها، فطوى على غرها.. " بالرغم من أنها روايات مستفيضة .

وبما تقدم: يتضح أن مولانا الإمام الأعظم عليّاً صلوات الله عليه وآله هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر والباطن وهو على كلّ شيء قدير بإذن الله تعالى على رغم أنوف المستكبرين.. ومن نزل علينا من أولئك العفاريت وحقّ الله وحقّ رسوله وحقّ أمير المؤمنين عليّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين الطاهرين المطهرين لسوف ننزل عليه نزلةً لم ينزلها أحدٌ من العالمين بقلمٍ ولساني.. قال الله تبارك وتعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ {الإسراء ٨} .

يكفيكم هذا التفاوت بيننا * وكلّ إناء بما فيه ينضح

وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظّم في عينِ الصغير صغارها

وتصعّر في عينِ العظيم العظام

والحمد لله رب العالمين وصلواته وتسليماته على المبعوث رحمة للعالمين وأهل بيته الحجج الطاهرين على عوالم التكوين
لا سيّما بقية الله في العالمين مولانا الإمام الحُجّة القائم المهدي عليه السلام وأرواحنا لتزأب نعليه الشريفتين الفداء..

حررها عبد الإمام المعظّم الحُجّة القائم

بقية الله المهدي صلّى الله عليه وآله

وكلبه الباسط ذراعيه بالوصيد

غريبه واقف على عتبة داره

محمّد جميل حمّود العاملي

بيروت/ بتاريخ ١١ ربيع الثاني

١٤٤٧ هجري قمري

الموافق ٤ تشرين الأول

٢٠٢٥ ميلادي

يا قائم آل محمّد أغثنا سيّدي.. أيها البئر المعطّلة والقصر المشيد

المحتويات

إستعراض الأسئلة:

ما رأيكم بالفيلسوف الشيعي صدر الدين الشيرازي..؟

ما وجه الفرق بين المفهوم التشكيكي والوحدة الشخصية..؟

هل يوجد في الأخبار مصطلح الإنسان الكامل..؟

ما هو الفرق بين الإنسان الكامل وبين العبوديّة..؟

ما معنى الحديث الوارد عن الإمام الأعظم سيّد الموحدين أمير المؤمنين عليّ صلّى الله عليه وآله (أنا الأول وأنا الآخر)..؟

السؤال الأول: ما هو رأيكم بالفيلسوف الشيعي صدر الدين الشيرازي (ملا صدرا) ؟ .

التفاصيل:

ترجمة موجزة عن الشيخ صدر الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا /معنى الحركة الجوهرية التي ابتكرها ملا صدرا /تعريف الجوهر ومثال تبسيطي للتعريف به/ حقيقة الحركة الجوهرية إجمالاً / الخلاف بين ملا صدرا وبقية الفلاسفة حول الحركة الجوهرية /الأدلة التي ساقها الفيلسوف ملا صدرا لإثبات الحركة الجوهرية عديدة/ موقع نظرية الحركة الجوهرية في الفلسفة الإسلامية/مخالفة الفلاسفة المشائين للملا صدرا/ خلاصة القول في الحركة الجوهرية/ ملا صدرا نظريتان شغلتا بال الحاضرة الشيعية والعالمية هما: الحركة الجوهرية ووحدة الوجود/ ما هي نظرية وحدة الوجود ؟ /ثمة أربع مؤاخذات على ملا صدرا: (القول بوحدة الوجود / إطرأه على ابن العربي / ميله إلى التصوف / تهجمه على العلماء كما يدّعون).

الإيراد على المؤاخذة الأولى (وحدة الوجود): إستعراض رأي العلامة السيّد محسن الأمين بحقّ ملا صدرا / ما السر في تكفير المعتقد بوحدة الوجود ؟ / نقد الشيخ الإحسائي في شرح العرشية على محسن فيض الكاشاني/ الأقوال في تفسير وحدة الوجود/ ماذا قال ملا صدرا في كتابه الأسفار الأربعة بحقّ القائلين بوحدة الوجود الباطلة...؟/ أين الإشكال على ملا صدرا في وحدة الوجود بالمعنى الشرعي الصحيح الذي يعتقده الشيعة الإمامية بأجمعهم ؟ / فساق من عمائم السوء تهكموا علينا لأننا ترجمنا على ملا صدرا بسبب توبته من تتبع أقوال الفلاسفة ونعته للصوفيّين بالضلال.

الإيراد على المؤاخذة الثانية (الإطراء على ابن العربي): إطراء ملا صدرا على ابن العربي هي المؤاخذة الكبرى عليه فلا يُعذر فيها أبداً إلا على نحو القول بأنها ملفقة عليه/ لقد تاب ملا صدرا من شطحاته الصوفية وأقوال الفلاسفة.

الإيراد على المؤاخذة الثالثة (إطراء ملا صدرا على الفرقة الصوفية): إطراء ملا صدرا على الصوفية يعارضه نعته للفرقة الصوفية بالضلال/ تشعبات الصوفية في العالم الشيعي.

. الاسباب التي أدّت بملا صدرا إلى دمج العرفان الصوفي في الفلسفة الإسلامية قبل توبته منه هي خمسة:

- ١ - السبب المعرفي المنهجي.
 - ٢ - الجمع بين البرهان والكشف.
 - ٣ - تهذيب النفس عبر الخلوة والعزلة.
 - ٤ - سعيه نحو توحيد المدارس الفلسفية والعرفانية المرتكزة على القرآن وأحاديث النبي الأعظم وعترته الطاهرة صلوات الله عليه وعليهم.
 - ٥ - سعيه نحو تقبّل المجتمع للمفاهيم الفلسفية المبتنية على الحكمة المتعالية بحسب تسميته لها.
- . الإيراد على المؤاخذة الرابعة (تهجمه على العلماء) بوجهين مهمين .

السؤال الثاني: ما وجه الفرق بين المفهوم التشكيكي والوحدة الشخصية ..؟

الجواب التفصيلي على السؤال الثاني: تفسير المفهوم التشكيكي/ تطبيق الفلاسفة للمفهوم التشكيكي على وحدة الوجود/ التأكيد على الاختلاف والتمييز/ الخلاصة/ إنقسام الكلّي إلى المتواطئ والمشكّك/ ما المراد من المفهوم التشكيكي والوحدة التشكيكية ؟/ ما المراد من الوحدة الشخصية ؟/ زبدة المخض/ نصيحتنا الخالصة لكلّ مولع بالفلسفة/ وحدة الوجود الصوفية على أقسام/ الإيراد على الصوفيّين الكفرة القائلين بوحدة الوجود/ الاختلاف الواضح بين وحدة الوجود ووحدة واجب الوجود/ المعتقد بوحدة الواجب المتعال مع وحدة الموجود كافر بنظر ملا صدر وعامة علماء الإمامية/ رواية أبي هاشم الجعفري عن إمامنا المعظمّ الحسن العسكري عليه السلام تدم المتصوفة والفلاسفة/ الصوفيون هم البتريون أنفسهم الذين حدّث عنهم الأخبار الشريفة/ سيخرج الصوفيون البتريون في العراق على الإمام الحجّة القائم صلّى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين /وجه التشابه بين الفرقة البترية والصوفية.

السؤال الثالث: هل يوجد في الأخبار مصطلح الإنسان الكامل ؟

. معنى الإنسان الكامل عند ابن العربي/ إختلاس ابن العربي للمصطلح المذكور/ ليس هناك إنسان كامل سوى رسول الله وأهل بيته الأطهار الأنوار المنتجبين صلوات الله عليهم أجمعين/ النبي وآله هم العقل الكلّي المدبر للعالم كلّها بإذن الله تبارك وتعالى/ بقية العقول

الجزئية حتى عقول الأنبياء منقادة للعقل الكلي المحمدي العلوي الفاطمي/حجية العقل الجزئي في كل شيء/تعريف العقل لغةً واصطلاحاً / العقل قسمان: نظري وعملي/ مراتب العقل العملي/شبهة عويصة وحلّها/ حُجّة العقل الكلي على عامة المخلوقات.

السؤال الرابع: ما هو الفرق بين الإنسان الكامل وبين العبودية ؟

الجواب على السؤال الرابع: الإنسان الكامل هو رسول الله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وبقية الخلق كمال نسبي بالقياس إلى آل البيت عليهم السلام/ تحليلنا للإنسان الكامل وربطه بالعبودية لله تبارك اسمه وتعالى شأنه/ ما معنى الحديث الشريف: "عبدني أطعني أجعلك مثلي أو مثلي..؟" وما معنى الحديث الشريف "وما يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التي ينظر بها ويده التي يبطش بها..؟".

السؤال الخامس: ما معنى قول أمير المؤمنين عليّ صليّ الله عليه وآله (أنا الأول وأنا الآخر..) ؟

.تفسير الآية الشريفة في قوله تعالى (واصطنعتك لنفسي).

.تفسير الخبر الشريف (نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائع لنا).

.قوله الشريف عليه السلام (أنا الأول وأنا الآخر) فيه عدة معاني ظاهرية وباطنية.

.مصادر الخبر (أنا الأول وأنا الآخر):الخطبة التطنجية والبيان وله مؤيدات أخرى في أخبار شريفة .

.كلام الحجج الأطهار عليهم السلام يُثَمِّل على سبعين وجهاً كما استفاضت بذلك الأخبار الشريفة .

.رجب البرسي لم يتفرد بذكر الخطبتين بل سبقه ابن شهر آشوب تحت عنوان "الخطبة الإفتخارية " .

.ماذا قال العلامة آغا بزرگ الطهراني في كتابه "الذريعة" عن الخطبتين ؟.

.الإيراد على المجلسي صاحب بحار الأنوار الراد على رجب البرسي صاحب مشارق الأنوار.

.صاحب البحار روى الكثير من الأخبار الشاذة فلماذا يستنكر على رجب البرسي..؟

.أهل البيت عليهم السلام هم العلّة الفاعلية للكون بإذن الله تعالى / ما المراد من العلّة الفاعلية في معارف العقيدة ؟ .

. ما هو نظر الأعلام الثلاثة: البياضي العاملي والمازندراني والبروجردى رحمهم الله تعالى حول العلّة الفاعلية في خلق الكون ؟.

. الخاتمة .

يا قائم آل محمّد أغثوا الملهوف

عبدك الراجي محمد